سلسلة صفحات من الثورة السورية

حيث لا ينتهي الألم

أمـــلاه : سعـــد عمــر الحمـــوي

صياغة وترتيب : أبـــي الوليـــد الحنفـــي

جمادى الأولى 1442 هـ

المقدمة

الحمد الله الذي أوجب على عباده المؤمنين التآخي والتناصر والتعاون على البر والتقوى، ونهاهم عن التقاطع والتدابر والظلم وخذلان بعضهم بعضا، وجعل الإعراض عن المناصرة موجبا للفتنة والفساد الكبير، فقال عز من قائل: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [سُورَةُ الْحُجُرَاتِ: 10]، وقال جل في علاه: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) [سُورَةُ الأَنْفَالِ: 73]، وقال جل ثناؤه: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [سُورَةُ التَّوْبَةِ: 71]، وقال تبارك وتعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: 2]، وقال عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [سُورَةُ الأَنْفَالِ: 72].

والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله وخير خلقه القائل: ((الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً، وشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمهمْ وَتَعَاطُفِهمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى)) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول الله -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: ((المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم، لا يَظْلِمهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ. مَنْ كَانَ في حَاجَة أخيه كَانَ اللهُ في حَاجَته، وَمَنْ

فَرَّجَ عَنْ مُسْلِم كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بها كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيامَةِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيه.

وعن أَبي هريرة -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((لا تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْض، وَكُونُوا عِبَادَ الله إخْوَاناً، المُسْلِمُ أخُو المُسْلم: لاَ يَظْلِمُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هاهُنَا -ويشير إِلَى صدره ثلاث مرات - بِحَسْب امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحقِرَ أخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلم عَلَى المُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وعِرْضُهُ)) رواه مسلم.

ورضي الله عن صحابة نبينا والتابعين لهم بإحسان الذين امتثلوا أمر الله حق الامتثال في الموالاة الإيمانية والمناصرة الدينية، فبذلوا المهج والأموال لنصرة إخوانهم، وسيروا الجيوش لاستنقاذ الأسارى وكشف الضر عنهم، وكسر قيودهم وتحطيم أغلالهم؛ وبعد:

فإن الله تبارك وتعالى ابتلى أهل الشام بطائفة من أكفر خلق الله وأشدهم حقدا على المسلمين وأعظمهم إجراما وأسوئهم معاملة وخلقا، وذاق المسلمون منها الأمرّين إلى أن هب المظلومون منتفضين بوجه ظالميهم رافضين حياة الذل والاستعباد؛ فعمت المظاهرات أرجاء البلاد، فلجأ النظام النصيري إلى البطش وإطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين واعتقالهم والزج في السجون وإن شئت فقل المسالخ البشرية، فما ثنى ذلك المسلمين عن طريقهم، فحملوا السلاح بعد أن يئسوا من التغيير بغيره، فازداد النظام وحشية وعدوانا، فنصب الحواجز واعتقل مئات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال، وقتل عشرات الآلاف منهم تحت التعذيب الذي تأنف منه الوحوش الكاسرة والسباع الضارية، وقد تم تسريب خمسة وخمسين ألف صورة لشهداء قضوا تحت التعذيب في عام 2013م فقط، وصدر على إثر ذلك ما يسمى قانون قيصر نسبة إلى الشخص الذي كان يعمل في سجون الأسد وقام بتسريب تلك الصور بعد انشقاقه عن النظام ولجوئه إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وإبقاء لقضية الأسرى والمعتقلين حية في النفوس، وتذكيرا بواجبنا نحوهم، وتخليدا لبطولتهم وصبرهم، وتحريضا على الأخذ بالثأر لهم، وتربية للأجيال القادمة على بغض النصيريين وجهادهم، وتثبيتا لفضائح وجرائم ووحشية الأسد وطائفته النصيرية الحاقدة، وتبكيتا لعمائم الكفر المنتسبة كذبا وزورا إلى أهل السنة كالبوطيين محمد سعيد رمضان البوطي لا رحمه الله ولا غفر له وابنه توفيق ألحقه الله بأبيه وحشرهما في سقر مع حافظ الأسد وزمرته، وإمام الزندقة الشيخ المتصابي أحمد حسون وأضرابهم، قمت بجمع شهادة عدد من الإخوة الناجين من براثن الموت في المسالخ البشرية؛ حيث تذبح الكرامة وتنتهك الأعراض وتدنس المقدسات وتستباح الحرمات وتفتك الوحوش البشرية بالإنسانية وتفقد الحياة معناها ويكون الموت أغلى أمنية وأحب غائب، وسأذكر في هذا الجزء قصة أحدهم وأرجئ قصة الباقين إلى جزء آخر يصدر قريبا بإذن الله.

واللهَ أسأل أن يفرج عن أسرانا، وأن ينجيهم مما هم فيه من الغم والهم والكرب، ويردهم إلى أهليهم سالمين، ويرزقنا الثأر لهم وإذاقة معذبيهم وبال أمرهم، وأن يحفظ الجهاد والمجاهدين من مكر الماكرين وعبث العابثين وألاعيب أهل الأهواء، وأن يعجل بالنصر على أعدائه من النصيرية والرافضة والروس، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

شهادة الأخ سعد عمر الحموي

نبذة عنه:

ولد في الشهر السادس من عام 1995م في مدينة حماة شارع الدباغة، وكان والده يعمل في التجارة، ونشأ في مدينة حماة، ومع صغر سنه عند انطلاق الثورة السورية إلا أنه شارك في المظاهرات وتوثيقها إعلاميا، وكان منسقا للمظاهرات الطلابية وخاصة المظاهرات الطلابية الثانوية، وقد طُلب لأجل ذلك عام 2011م من قبل فرع أمن الدولة، ودوهمت إحدى الحارات وفتشت كاملة بحثا عنه، فرتب واسطة وكانت الأمور لا تزال سهلة ثم سلّم نفسه؛ حيث اعتقل لمدة يومين ضُرب خلالهما ضربا مبرحا ثم أُطلق سراحه، وكانت أسرته -مع مشاركتهم في الثورة- يرفضون بشدة مشاركته بالثورة كي لا يتدمر مستقبله، إلا أنه استمر في التوثيق الإعلامي واكتسب خبرة إعلامية عبر الإنترنت، إضافة إلى دراسته المرحلة الثانوية في المدرسة، كما أن والده علمه بعض الأمور التي ينبغي الانتباه إليها في التحقيق وكيفية التصرف أثناء التحقيق.

وفي عام 2013م كانت هناك مجموعة محاصرة في حماة، فأرسلوه ليستكشف لهم الطريق، فقبض عليه حاجز للنظام، واعتقل يومين ثم أُطلق سراحه بعد عدة أسئلة ولم يُعذّب هذه المرة، ولندع الحديث لسعد ليذكر لنا قصة اعتقاله.

الاعتقال:

في بداية 2013م أردت الانتقال إلى المجال العسكري لأكون مجاهدا خلف خطوط العدو، فسافرت إلى ريف حماة وجلست مع بعض الإخوة المجاهدين من أجل التنسيق للقيام بأعمال عسكرية داخل مدينة حماة، واتفقنا على عدد من النقاط، ثم عدت إلى حماة وبدأت برصد حركة العساكر ومراقبة النقاط والحواجز بالاشتراك مع عدد من أصدقائي، إلا أن الإخوة الذين اتفقنا معهم في ريف حماة خذلونا، فاتصلنا بكتائب في جنوب حماة للتنسيق معها، إلا أن الوعود التي وُعدناها كانت تذهب أدراج الرياح، وقد تضايق عدد من رفاقي من هذا الأمر فهم يريدون البدء في العمل وليس في اليد حيلة، ثم إننا اشترينا سلاحا بأنفسنا وأخذنا ننتظر تواصل الكتائب في خارج

حماة معنا، وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان.

فقد تعرف بعض أصدقائي إلى جهة ما وصارت الأموال والأسلحة والذخائر تتدفق عليهم، فسألت: من أين هذا؟ فطلبوا مني ألا أهتم بذلك ولا أتدخل به أصلا، وكان هذا هو الكمين الذي سيودي بنا جميعا.

وكان النظام قد أحكم سيطرته على مدينة حماة بشكل كامل ويئسنا من الفصائل التي في ريفها.

خلال هذه المدة كنت أقرأ في كتاب معالم في الطريق لسيد قطب، وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان ذهبت لأقوم تلك الليلة في المسجد، فمكثت هناك من العاشرة ليلا إلى الثالثة قُبيل الفجر، ثم خرجت لأتسحر في المنزل ثم أعود لأصلي الفجر، وكنت أشعر بأجواء إيمانية عظيمة وأشعر أن هذه الليلة ستغير حياتي، وستكون فاتحة عهد جديد وبداية مرحلة جديدة تختلف عن سابقاتها.

وصلت إلى المنزل وكانت الكهرباء مقطوعة والظلام دامس، وما إن جلست قليلا حتى بدأ الباب يطرق طرقا شديدا حتى انكسر، وانساب عشرات العناصر بلباس مدني يفتشون البيت، فلما خرجت أمسك بي أحد العناصر ووضع المسدس في عنقي، وقال: أنت فلان؟ فقلت: نعم، فقال: تعال معنا، فقلت: لماذا؟ فقال: هناك ستعرف، وكنت أستمع إلى مقطع عن وصف الجنة ومعي مصحف صغير قد وضعته في جيبي، فلما رأى العنصر المصحف في جيبي غضب وأخرجه ثم رماه أرضا، وصار يطؤه، وقال: أنتم تعرفون الله؟ وقام عدد من العناصر أيضا بوطء المصحف أيضا، وللأسف فهم محسوبون على أهل السنة، وهم من مدينة حماة.

فتشوا المنزل بهمجية شديدة، وفتشوا والدتي وأجبروها على خلع الحجاب، ومنعوا والدي من الدخول عليها أثناء التفتيش، كما فتشوا والدي واعتدوا عليه بالضرب، وسرقوا من المنزل ما خف حمله وغلا ثمنه، وحطموا سائر الأثاث.

ثـم وُضعـت في الصنـدوق الخلفـي للسـيارة، مـع شـتم مقـذع بأشـد الألفـاظ بذاءة وفحشـا، ووضعـوا معـي في الصنـدوق حاسـوبي وكميـة مـن الأدويـة التـي صادروهـا مـن البيـت، وسـمعت صوتـا أعرفـه يعمـل دليـلا لهـم، ثـم سـارت بنـا السـيارة.

وكان عنـدي فلاشـة وبطاقـة ذاكـرة فيهمـا أشـياء خطيـرة جـدا، وكنـت مخبئهمـا في الحاسـوب بطريقـة مـا، فاسـتخرجتهما وكسـرت الفلاشـة وبلعـت بطاقـة الذاكـرة.

النقل إلى مفرزة أمنية:

ثـم توقفـت السـيارة عنـد إحـدى مفـارز الأمـن داخـل مدينـة حمـاة وتـم إنزالـي هنـاك، ومـا إن دخلـت حتـى انهالـوا علـيّ ضربـا مبرحـا بالأيـدي والعصـي وأخمـص المسدسـات والبندقيـات، ثـم أدخلونـي إلـى غرفـة مظلمـة جـدا، وهنـاك وجـدت عشـرين شـخصا مصطفيـن وأيديهـم مكبلـة خلـف ظهورهـم، ويوجـد أحـد ليـس كذلـك وهـو مـا يطلـق عليـه اسـم الشـاويش، ثـم رمـوا لـه حبـلا وطلبـوا منـه تقييـدي كباقـي السـجناء، وقالـوا لـه: ويـل لـك إن لـم تكـن العقـدة متينـة.

ثـم اكتشـفت أن أحـد هـؤلاء العشـرين مـن أصدقائـي، كمـا سـمعت صـوت صديـق ثـان لـي يعـذب في الخـارج، وقـال لـي صديقـي: لا نعـرف مـا الـذي جـرى، وقبـل أن أتكلـم نـادوا اسـمي، فخرجـت وإذ بحفلـة التعذيـب الثانيـة تبـدأ وهـي أشـد مـن سـابقتها.

أخـذ الزبانيـة يضربوننـي بأخمـص المسدسـات على صدغـي حتـى أخـذ الـدم يسـيل مـن عيونـي، كمـا ضربنـي أحدهـم برجـل أريكـة على إصبـع رجلـي وشـعرت بهـا كسـرت ثـم عصبتهـا عنـد نقلـي مـن هـذا المـكان، وقالـوا لـي: إذا سـئلت لاحقـا عـن سـبب عصـب رجلـك فإيـاك أن تقـول: إننـا ضربنـاك، بـل قـل: إنـي سـقطت عليهـا، ومـع كل مـا بـي مـن الألـم فقـد اسـتطعت أن أقـاوم قليـلا بفضـل الله، وأعاننـي على ذلـك أنـي كنـت سـابقا ألعـب بالأثقـال الحديديـة.

ولـم يكـن الوحـوش أثنـاء التعذيـب يكفـون عـن الكفـر والسـب والشـتم، وسـألني أحدهـم:

من ربك؟ فقلت: الله، وكان بيده كأس من زجاج فرماني بها على رأسي فشجه وانبعث منه الدم.

كانوا يريدون مني أن أدلهم على أشخاص وأرشدهم إليهم إلا أني نسيت كل شيء، وعلمت أن عليّ الثبات، وشعرت بلطف الله يحوطني، وأني لست وحيدا في محنتي، فلجأت إلى الله أدعوه وأسأله وأتوسل إليه فأعانني وثبتني، ولم يكن يتوقع ذلك أحد، ولا كنت أظن أنا ذلك، بل إن أهلي كانوا يقولون لي قبلا: إذا قُبض عليك فإنك ستورط الناس جميعا بعد أول صفعة تصفعها على وجهك.

كانت الأسئلة تتوالى عن هاتفي الجوال وصور المجاهدين التي فيه، ثم أخذوني إلى غرفة مضاءة ورأيت نفسي والدماء تغطي جسدي الذي امتلأ بالأورام والقروح، فقد حوله المجرمون إلى مطفأة للسجائر، بل إن أحدهم قام بإحراق ركبتي بقداحة شلمون، وقررت المناورة فلم يعد بي مزيد احتمال لألم جديد، فقلت: تذكرت وسأتكلم، فرحبوا بي وأخرجوني وأحضروا لي ماء وجلست عشر دقائق، ثم دخل نساء ملثمات وهن مخبرات يعملن مع النظام، فنظرن إليَّ ولم يتعرفن إليَّ، وكذلك دخل مخبرون ملثمون ولم يتعرفوا إليّ.

ثم اخترعت قولا ونسبته إلى حافظ الأسد وفحواه أن الإنسان يخطئ، وبما أني شاب في مقتبل العمر -كان عمري حينذاك سبعة عشر عاما فقط- فالحوار هو الوسيلة الأنفع وتعليمي أن هذا خطأ وهذا صواب أفضل من الضرب.

فسمحوا لي بدخول الخلاء وغسل ما بي من الدماء، ثم أعادوني إلى الزنزانة، وبحثوا عن حبل ليقيدوني به فلم يجدوا فشقوا قميصي الداخلي وقيدوني به، وتيقنت أن عقولهم خاوية ليس فيها شيء سوى الإجرام.

فلما دخلت سألني بعض السجناء، فقلت لهم: لا شيء عليّ، وجاء صديقي، وقال: فلان اعترف تحت التعذيب، وفلان اعترف تحت التعذيب، فقلت له: أنا لم أعترف

بشيء، وكنت أصرخ من شدة الألم فصرخت يا رب، فسمعها السجان فغضب جدا وجاء ليضربني، إلا أن أحدهم ناده فشغل عني ونجوت.

النقل إلى فرع الأمن العسكري:

ثم جاءت حافلة كبيرة فنُقلنا بها إلى فرع الأمن العسكري، وكان مظهري بائسا للغاية، فأنا لا أرتدي سوى سراويل وقميص بلا أكمام، وقد مزق من نصف الأسفل لأربط به، وجسدي مليء بالكدمات، ثم جاءت حافلة، وطوال الطريق يقوم العناصر بسبنا وشتمنا وضربنا، وكنا في الحافلة قرابة العشرين شخصا، فلما وصلنا، قال لي عنصر من الأمن: هؤلاء أفراد خليتك، فقلت: هؤلاء؟ قال: نعم، فقلت: لا أعرف أحدا منهم، ثم أخذوا يسألوننا عن أسمائنا والرموز السرية لفتح هواتفنا الجوالة، ثم وُضعت جوالات العشرين شخصا الذين كنا معا في الحافلة في مظروف واحد، فعلمت أن العسكري صدق وأن دعوانا واحدة، ثم سلمنا الأمانات، وفوجئت بأشياء كثيرة أُخذت من بيتنا، ثم صُفع كل واحد منا صفعة على وجهه، ووُزعنا على الزنزانات الانفرادية، ودخلت إلى زنزانتي وأنا صائم ولم أفطر مع شدة التعذيب الذي لقيته في المفرزة، وكنت أحدث نفسي أني سأعذب عذابا شديدا جدا وأمامي الكثير من الأسئلة، وكانت نفسي تقول لي: يجب أن أخرج من هنا بسرعة.

والمنفردة في حقيقتها خلاء طولها متر وعرضها متر، وبقيت يومين فيها وحيدا لم آكل خلالهما سوى قطعة خبز صغيرة، ثم أدخلوا ثلاثة أشخاص تباعا؛ الأول طفل يدعى بلالا وعمره أربعة عشر عاما وقد قُتل في السجن وعلمت بذلك لاحقا، والثاني شيخ كان يعمل مع أحد الفصائل، والثالث شاب حلبي من مواليد 1992 وهو متزوج ولديه طفل وقد كُتب به تقرير أفضى به إلى هنا.

وهذا الشيخ من محافظة حماة وعمره خمسة وأربعون عاما، وقد عاد إلى مناطق النظام عبر تسوية أقنعته بها زوجته، فلما عاد تُرك قرابة شهرين ثم اعتقلوه، ولما أتوا به إلى الفرع عذبوه عذابا نفسيا فقط، فقد تُرك عشرين يوما في الزنزانة دون أن يحققوا معه، ثم دعاه الضابط وكان نصيريا إلا أنه كان ذا اطلاع واسع على علوم

الشريعة، ويبدو أنه كان حافظا للقرآن بأكثر من رواية، فكان يحاور الشيخ بالقرآن ولا يقدر ذاك أن يرد عليه خوفا من العواقب، وقد ضعف الشيخ وشعر باليأس من الفرج فصار يبكي، وضعفه هذا أثّر عليّ جدا، وقلت في نفسي: إذا كان هذا وهو شيخ قد ضعف فكيف سيكون حالي؟ فصرت أصبره قدر المستطاع، حتى إنه تعجب مني، وقال: لماذا أنت متفائل دائما، فقلت: لا أعلم ولكن أريد أن تحفظني ما تقدر عليه من القرآن، فحفظني قرابة جزء خلال وجودنا معا، وقد توثقت علاقتي به جدا، وكان عناصر السجن يعاملونه معاملة خاصة تختلف عن معاملة سائر السجناء، ويتفقدونه ويسألونه إن كان يحتاج شيئا؟ وقد قال لي هذا الرجل: إنه ليس له علاقة بكبير شيء، وكان نادما لسماعه كلام زوجه وعودته إلى النظام الذي لا يقيم وزنا لأي عهد أو أمان.

ثم إنه انهار أخيرا واعترف للنظام أنه كان أمينا لمستودع للذخائر والسلاح وأنه كان يعطي المقاتلين دروسا شرعية، وكان انهياره صدمة كبيرة لي وشعرت بألم نفسي عميق لا أقدر على وصفه، إلا أن الله ثبتني وتكرر المنام الذي سمعت فيه صوت القارئ يقرأ قوله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [سُورَةُ آل عمران: 200] فكان في ذلك رفع عظيم لمعنوياتي وإذهاب للغم والهم الذي انتابني.

بقيت ستة أيام في المنفردة دون أن أستدعى إلى التحقيق، وزنزانتنا قريبة من مكتب التحقيق، وكانت أصوات تعذيب السجناء أصواتا رهيبة لا تكاد تنقطع، يصاحبها أصوات كفر وشتم من الزبانية، وكنت أسمع كثيرا من الأسئلة التي يُسألها المعذبون، كان الضابط يسأل المرأة السجينة: متى آخر مرة جامعك زوجك؟ مع سب فاحش قبيح، وذات مرة سمعته يقول لإحداهن: لن ترجعي إلى الزنزانة حتى يأتي زوجك وستنامين معي وستكونين زوجتي، كما سمعت أختا يضرب رضيعها أمامها بشدة لتعترف أين زوجها.

كان ذلك يجعلني أتألم جدا وأود أن لو أُضرب بدل النساء، وكنت أعلم أنه لا شيء

يقوي الصمود هنا سوى توثيق الصلة بالله والاعتماد عليه وتفويض الأمر إليه، وكان الشيخ الذي معنا يحفظنا ما تيسر من القرآن.

الخروج إلى التحقيق:

ثم نادوا اسمي ليحققوا معي، وجاء عنصر فاصطحبني إلى غرفة التحقيق في الطابق الذي فوقنا، وما إن دخلت الغرفة حتى شُبحت (علقت من يداي وبقيت رؤوس أصابع قدميّ على الأرض مباشرة) دون أن أسأل أي سؤال أو يستفسر مني عن أي شيء، وكنت في حالة نفسية متعبة وقد استولى الخوف على فؤادي.

كنت غير قادر على الاستمرار في الوقوف على أصابع قدميّ التي اهترأت لكثرة ما نالها من الضرب سابقا، وبعد ساعة من الشبح نظرت إلى معصمي من تحت العصابة الموضوعة على عينيّ وقد انغرزت فيهم القيود على الجروح الملتهبة والمتقيحة فأورثني ذلك ألما عظيما، فناديت أحدهم وقلت له: أنزلني وسوف أعترف، فأخذني إلى غرفة المحقق وتمكنت من رؤية المحقق مع وجود العصابة على عيني، وقدرت عمره بثلاثين عاما، فقال لي: بماذا سوف تعترف؟ فقلت له: أنا ليس لي علاقة بأي شيء وأنا طالب في المدرسة ولا أعرف لماذا أحضرتموني إلى هنا؟ فقام وضربني وقال: لا تتكلم، أنا من يسألك هنا، ثم أخذ يسألني الأسئلة المعتادة: اسمي وعمري واسم والدي ووالدتي ومكان سكني وعملي وما إلى ذلك، ثم قال لي: هل حملت السلاح؟ فقلت: لا، فقال: هل خرجت في المظاهرات؟ فقلت: لا، فقال: ضعوه في الدولاب، فأنزلت إلى الأسفل ووُضعت فيه ثم قلبت على ظهري وكبلت يداي خلف ظهري وتحتي حجارة مسننة، وبقيت هكذا ساعة ونصف، ونظر العنصر إلى رجلي المعصوبة، وسألني: لماذا هي معصوبة؟ فقلت: مكسورة، فقال: كيف كسرت؟ فتذكرت كلامهم لي في المفرزة فلم أشأ أن أقول كسرت من التعذيب، فقلت له: سقطت عليها، وأنا أعلم أنه يعلم أنها قد كسرت من التعذيب الذي نالني سابقا، ولكن المجرمين يحبون أن يستمتعوا بفعل جرائمهم ثم يستمعون إلى الضحايا وهم ينكرون علاقة المجرمين بتعذيبهم.

ثـم قـال لـي: تؤلمـك؟ فقلـت: نعـم، فانهـال عليهـا ضربـا بالعصـا، وطـال الأمـر حتـى شـعرت أنـه سـنين، مـع أنـه لـم يتجـاوز النصـف سـاعة، فقلـت لـه: دعنـي، سـوف أتكلـم، إلا أنـه لـم يلـق لذلـك بـالا واسـتمر بالضـرب، ثـم أمرنـي بالصعـود إلـى غرفـة التحقيـق، فلـم يمكننـي إلا الصعـود زحفـا، وأثنـاء الصعـود لـم يبخـل العنصـر علـي بشـيء مـن الـركل والوكـز والرفـس والصفـع وكل مـا يخطـر ببالـك، حتـى وصلـت إلـى غرفـة التحقيـق، وهنـاك عـاد المحقـق يسـأل عـن حملـي السـلاح وخروجـي في المظاهـرات، فأنكـرت كل شـيء، فأمـر بإعادتـي إلـى الزنزانـة، فلمـا وصلتهـا كان مظهـري كافيـا ليسـري الخـوف في قلـوب الموجوديـن، فالدمـاء تسـيل منـي وقـد امتـلأ جسـدي بالكدمـات وأنـا لا أقـوى على الحـراك.

وكنـت أثنـاء التحقيـق أقـول للمحقـق: يـا شـيخ، كمـا هـي العـادة في مخاطبـة الشـباب، فـكان يضربنـي لذلـك جـدا.

ثـم أخـذوا الفتـى الصغيـر بـلالا الحمـوي والشـاب الحلبـي، وكان بـلال متهمـا بأنـه مذخـر لرشـاش مضـاد للطائـرات، مـع أن حجمـه صغيـر ولا يمكـن أن يكـون مذخـرا لرشـاش (ب ك س) وبعـد سـاعتين أعـادوا الفتـى وقـد اعتـرف لشـدة التعذيـب أنـه كان حامـلا لقـاذف آر بـي جـي، مـع أنـه لـو حملـه لسـقط بـه، ثـم عـاد الشـاب الحلبـي بعـد أحـد عشـر سـاعة وقـد تورمـت رجـلاه، وقـد عُـذب عذابـا رهيبـا ووُضـع أثنـاء التعذيـب في زنزانـة أخـرى ثـم أخرجـوه فعذبـوه ثـم أعـادوه إلـى زنزانتنـا، فقـال لنـا: اعترفـت بـكل شـيء مكتـوب في التقريـر عنـي مـع أنـي لـم أفعلـه.

مـن لطـف الله بـي في الفـرع أنـي كنـت أرى منامـات مبشـرات تخفـف عنـي كثيـرا مـن الـلأواء والشـدائد، ومـن ذلـك أنـي رأيـت في نومـي قائـلا يقـول لـي: أبشـر يـا فـلان، ثـم سـمعت صـوت قـارئ يقـرأ قولـه تعالـى: (يَاأَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا اصْبِـرُوا وَصَابِـرُوا وَرَابِطُـوا وَاتَّقُـوا اللَّهَ لَعَلَّكُـم تُفْلِحُـونَ) [سُـورَةُ آلَ عمـران: 200] وصـوت القـارئ مألـوف لـدي، وقـد تكـرر هـذا المنـام ثانيـة عندمـا حولنـا إلـى دمشـق.

وبعد قرابة خمسة عشر يوما أُخرجت إلى التحقيق ثانية، ووقفت أمام الزنزانة، ورأيت هناك صديقي، فأشار إلي أنه اعترف بذبح عسكري، فأشرت له أني لم أعترف بشيء ولا أعرفك ولا تعرفني، ثم أخذني العنصر إلى التحقيق، فقال لي المحقق: صديقك اعترف أنك خرجت إلى ريف حماة، فقلت له: نعم ذهبت إلى هناك، فقام إليّ يضربني، وقال: لماذا لم تذكر ذلك في المرة الماضية، فقلت: ذهبت إلى هناك ولم يعجبني الوضع فكلهم كذابون، وهم قد خرجوا لأجل المال فعدت، فقال: هذا رأيك؟ فقلت: نعم، فقال: هل خرجت في المظاهرات؟ فقلت: لا، فقال: كيف، فقلت: نحن شباب طائشون وقد رأينا بنات فتبعناهم وليس لنا علاقة بغير ذلك، فقال: هل تعرف فلانا؟ فقلت: نعم، فسألني عن السلاح والقبضة اللذين كانا معه فأنكرت أن أكون رأيت معه شيئا.

فسألني: كيف خرجت إلى الشمال؟ فقلت: فلان (لشخص مع المجاهدين) كان يشتري لي المثلجات والعلك وكنت أحبه لذلك وكبرت كذلك وقد ذهبت لأراه.

ثم فتش الحاسوب فلم يجد فيه شيئا، كما فتش الجوال فلم يعثر فيه على شيء، وذلك أنه كان عندي برنامج الوتس آب على رقم أمريكي فحذفته فلم يستطيعوا أن يستعيدوا شيئا.

ثم أُعطيت أوراقا وقلما، وطلب مني كتابة كل شيء عني، فملأت أربع صفحات، ولا أدري كيف كنت ألهم الكلام فجميع ما كتبته لا يخرج عن المناورة ولا يمكن أن يدينني بشيء.

ثم أمرني بالعودة إلى الزنزانة، فقلت: لا أقدر على المشي فهل تسمح لي أن أزحف زحفا؟ وبدأت أزحف نازلا، ثم قلت: أحتاج صابونا، فقال: نعطيك، وهنا ركلني العنصر برجله وتابع ذلك حتى انتهى الدرج.

ومما أذكره أنه كان بالقرب منا زنزانات مخصصة لجنود النظام الفارين من المعارك،

فكنا نسمعهم يقولون: بعد كل ما قدمنا نرمى هنا قرب الإرهابيين ونعامل كما يعاملون. وكانوا أسبوعيا يأتون بقرابة الثلاثين جنديا يُرمون في الزنازين.
وبعد خمسة وثلاثين يوما حُوِّلنا نحن العشرين شخصا أصحاب الدعوى إلى زنزانة جماعية، وهناك بدأ يتضح لي الفخ الذي نصبه لنا النظام وأوقعنا فيه، فالذي يربطنا جميعا هو معرفتنا بشخص سأطلق عليه اسم أبا محمد، وإن كنا لا يعرف بعضنا بعضا.

الفخ الذي نصبه لنا النظام:

أرسل الأمن العسكري شخصا من قبله -سنسميه أبا حسن- فتعرف إلى أبي محمد وتمكن من خداعه بإقناعه أن له صلات بالمجاهدين، وصار يقدم له مالا وسلاحا وكل ما يطلب، حتى صار يُهرِّب له أشخاصا مطلوبين للنظام من وإلى حماة، ثم إن أبا محمد طلب منه تهريب شخص مطلوب للنظام جدا وقد آذاه كثيرا، فأرسل أبو حسن سيارة أقلت هذا الشخص وانطلقت به إلى قرية قريبة من المناطق المحررة -وكان النظام يريد أن يستخدم هذا الشخص طعما للإيقاع بشخص أخطر منه- وهناك ضربوه ضربا شديدا ثم أخذوه إلى مكان يفصل بين المجاهدين والنظام، قالوا له: اذهب إلى الطرف الآخر، ثم كمنوا، ولم يمض سوى وقت قصير حتى جاء الشخص الآخر -سنسميه أبا مصطفى- على دراجة نارية ليصطحبه، ولم يكن حاملا لسلاحه، فلما ركب معه خرج الكمين، إلا أن الله أنجاهم بأعجوبة وتمكنوا من النجاة من براثن النظام مع كثرة ما أطلق عليهما من النيران، ثم إن أبا مصطفى اتصل بي، وقال: اخرج من بيتك مباشرة فإما أن أبا حسن كذاب وإما أن أبا محمد كذاب، هناك لعبة ما تجري، فقلت: مستحيل، فقال: الأمر كما أقول لك، وقد اتصل بي مرارا يحذرني ويطلب مني الفرار، ولكني لم آخذ الأمر على محمل الجد، وصار أبو محمد يخوِّن أبا مصطفى ويتهمه بالتعامل مع النظام، وجرى سيل من التهم والتراشقات انتهى بالقبض على أبي محمد وكل من يعرفه حتى لو لم يكن له علاقة بالثورة من قريب أو بعيد، بل إن أحد المقبوض عليهم كان مؤيدا للنظام، وآخر كانت له علاقة مع أربع عشرة فتاة، وقد قال لكل واحدة منهن: سأتزوجك، وكان القبض عليه في ليلة القدر وهي ذات الليلة التي قُبض فيها عليّ، وكان أبو حسن قد أعطى أبا محمد

من ضمن الأسلحة (sixteen) ليظهر عند القبض عليه أنهم مدعومون من الخارج، كما قام النظام بتنفيذ تفجير وهمي لينسبه إلينا ثم يزعم القبض على الفاعلين وقد قبض على أبي محمد والسلاح الذي معه في بيته واعترف على كل من يعرفه، وتحول في السجن إلى شبيح يتعامل مع النظام، وقد قتل عدد من أبناء الدعوى في السجن تحت التعذيب أو من سوء الأوضاع هناك مع أنهم لم يكونوا على علم بشيء وكل جريمتهم أنهم كانوا يعرفون أبا محمد، وقد اعترف عليهم.

اللقاء بأفراد دعوتي:

بعد خمسة وثلاثين يوما جمعنا في غرفة لنحول إلى مكان آخر، وكانت الغرفة صغيرة جدا فطولها ثلاثة أمتار وعرضها مثل ذلك، وهذا ما جعلنا نتناوب على النوم جلوسا، وحصة النائم بلاطة واحدة فقط، أو يتكوم النائمون فوق بعضهم، وقد أحضروا لنا في ذلك اليوم طعاما فاسدا ذا رائحة كريهة مكون من بندورة وباذنجان وأرز، مما جعل أغلب السجناء يتقيؤون، ومما زاد في معاناتنا شدة الحر حتى إنك تظن عرق السجناء على الأرض ماء مسكوبا.

في هذه الغرفة التقيت أول مرة بأفراد دعوتي والذين لا أعرف منهم سوى شخصين فقط، وبدأت أسمع رواياتهم، وفوجئت بأن معظمهم لا علاقة له بشيء، ونصفهم تقريبا يقف على الحياد من الثورة والنظام، ولكن قُبض عليهم لمعرفتهم بأبي محمد، وفوجئت أكثر حينما علمت أنهم نتيجة التعذيب اعترفوا بحمل السلاح وضرب حواجز النظام، وظن الشباب لما رأوا من آثار التعذيب علي أني قد اعترفت. قمت بتجميع الروايات لأعلم هل فيها أمر يمكن أن يستخدم ضدي، وكنا نظن أننا سنوزع على السجون حسب اعترافات كل شخص، إلا أن الضابط جاءنا في اليوم التالي طلب منا الاستعداد للتحويل، وتم تحويلنا إلى الشرطة العسكرية في حماة، وظننا أنها نهاية الطريق كونهم قالوا لنا: يوجد هنا قاض.

لما وصلنا أخذوا أسماءنا ثم أدخلونا إلى مهجع كبير، ولم تكن المعاملة سيئة مقارنة بما سبق، كما أن كمية الطعام التي أحضروها لنا كانت كبيرة وكافية، ثم أحضروا لنا شايا، وهذه أول مرة نذوق فيها سكرا منذ أربعة وثلاثين يوما.

الانتقال إلى البولوني في حمص:

وفي اليوم التالي أحضروا حافلة كبيرة أقلتنا، وما إن صعدنا فيها ونحن مقيدين معصوبي الأعين حتى بدأ العناصر بالضرب والشتم، وهذا الأمر عام في جميع المرات التي نقلنا فيها.

سارت الحافلة مسافة طويلة، وقال لنا الضابط الذي معنا: ارفعوا العصائب عن أعينكم وانظروا إلى مدينتكم حماة، فقد تكون هذه آخر مرة ترونها فيها، وكانت رؤوسنا إلى الأسفل وأيدينا مقيدة إلى الأمام، ومعظم الشباب أعمارهم ما بين العشرين إلى الخامسة والعشرين، وصلنا إلى مكان فيه طابق أرضي، وبعد أن دخلناه رأينا جميع من هناك يتعرى بشكل كامل للتفتيش، وقد عرونا كالباقين وبدؤوا ضربنا بالسلاسل الحديدية، ومع أن الضرب استمر لمدة خمس دقائق فقط إلا أننا تألمنا من ذلك جدا.

ورأينا أشخاصا كبارا في السن، فسألناهم: أين نحن؟ فقالوا: في البالوني العسكري في حمص.

ثم صعدنا إلى الطابق الثاني وأدخلونا إلى زنزانة كبيرة والسجين المسؤول عنها سني (والمسؤول يدعى شاويشا) من حلب وكان فظا غليظا سيئ المعاملة، قال لنا: أنتم من الأفرع، اذهبوا إلى تلك الزاوية لأنكم مصابون بالقمل حتى لا تنتشر العدوى في المهجع، ثم سألنا: من أين نحن؟ ومن أين قدمنا؟ وما شابه.
وكل شيء في هذا المهجع ممنوع، حتى الكلام، بل حتى النظرات بالعيون التي تدل على كلام ما.

بعد ساعتين طلبونا؛ وإذ بمساعد وعنصر يحلقون شعور الشباب، وقفنا ننتظر دورنا، فكان السجين الذي يصل دوره يُسأل: ما هو جرمك؟ فإذا ذكر أمرا يتعلق بالمظاهرات والثورة ضرب وكانت حلاقته شديدة، وإذا ذكر جرما آخر لم يضرب.

رأيت أثناء ذلك والد مع ابنيه -ويظهر واضحا أنهما ليسا طبيعيين وأن في عقلهما شيئا ولكن نتيجة مشاكل أسرية كُتب فيهم تقرير كما علمت لاحقا- قدموا من فرع الأمن العسكري في حماة، فسأل الزبانية أحد ولديه: ما هو جرمك؟ فقال: حمل سلاح، فأخذوا يضربونه ضربا مبرحا، فلم يجد أبوه سلاحا سوى أن يبكي، ورأيت دموعه تهطل بغزارة، ولم يجرؤ أن يقول: هذا ابني، وقد كسر هذا المشهد قلبي، وقد توفي هذا الرجل بعد ذلك في السجن، وقصة وفاته مؤلمة جدا فقد تعرض لضرب مؤلم على أقدامه، فعانى من قدمه معاناة شديدة، ولم يقدموا له أية مساعدة طبية حتى امتلأت رجله بالقيح والصديد، ولم يستطع جلده تحمل الأورام والالتهابات الشديدة فانفجرت قدمه فنزف حتى مات رحمه الله، وهنا أقول: أن تئن وتتألم ويسمع أولادك صراخك أثناء تحقيقك وضربك ولا يستطيعون ولا تستطيع أن تفعل شيئا تلك لحظات يتجلى فيها الألم الحقيقي والمعاناة.

وبعد انتهاء الحلاقة نقلونا إلى مهجع آخر، وكان شاويشه نصيريا من ريف تلكلخ، ويبدو أنه كان في الجيش وقد أُحضر إلى هنا عقوبة، وكان استقباله لنا جيدا؛ فوزع علينا تفاحا، وعلمنا كيفية تفلية القمل، وكان يطلب من السجانين دواء للمرضى فكانوا يضربونه لذلك، وقد سمح لنا الشاويش بالتحدث مع بعضنا مع أنه سُيعاقب إن علمت بذلك إدارة السجن، كما كان يوزع المستحقات من الطعام وغيره بالتساوي، وسمح لنا بالصلاة.

جلست إليه وسألته عن نفسه وأسرته وسبب اعتقاله، فقال: لا أستطيع أن أخبرك عن سبب اعتقالي، ولكن إذا خرجت من هنا فسأهاجر؛ لأن هذا النظام الذي حميناه ودافعنا عنه لم يراع ذلك ولم يحترم خدمتنا له ولم يقدر التضحيات التي قدمناها في سبيله.

الانتقال إلى فرع فلسطين:

بقينا في هذا الفرع يومين، ثم نادوا أسماءنا وقيدونا بسلاسل حديدية في أيدينا وأرجلنا، وصعدنا في سيارة طعام كبيرة (براد)، وكل سلسلة فيها خمسون سجينا، وكنا قرابة المائتي سجين، ووضعت العصائب على أعيننا إلى أن صعدنا السيارة، وفي السيارة نافذتان صغيرتان، ولم نُضرب هذه المرة أثناء الصعود.

سارت بنا السيارة، وكان الشاويش السني معنا، وعرف أن السيارة متوجهة إلى دمشق من خلال مراقبة الطريق من النوافذ فقد كان يعمل سائقا قبل اعتقاله، ثم قال لأحدهم: أخشى أن يأخذونا إلى الفرع (215) أو الفرع (235) وهذا الأخير هو فرع فلسطين.

كنت حافيا ولا أزال بالقميص الداخلي الممزق والسراويل التي قبض عليّ فيها، ومع ذلك أحسست في الطريق برضى عجيب وبتدبير الله.

كان معنا في السيارة شخص على وشك الموت؛ فقد ضُرب على كليتيه ضربا متلفا ولما خرج ليصعد إلى السيارة كان العساكر يضربونه لأنه غير قادر على المشي، فحملته مع أحد السجناء، فتحول ضرب العساكر إلينا.

وقد فقد هذا الشاب الذاكرة، وكان يبول ويتغوط دون أن يشعر في مكانه، ولما وصلنا إلى دمشق شعرت ببرودة جسده، فوضعت يدي على قلبه فلم أجد نبضا، فعرفت أنه قد فارق الحياة، فطلبت من شاب آخر أن يتفحصه، فقال لي: لقد مات. نزلنا في فرع القزاز وبقيت الجثة في السيارة، بعد أن فكوا قيوده، وقال أحد عساكر النظام: فطس.

ثم عصبوا أعيننا، وقالوا: ركضا إلى الداخل، ومن تحت العصابة أبصرت عناصر النظام وهم جميعا يحملون قضبان خضراء (تستعمل عادة في التمديدات الصحية) وقد استعدوا لبدء ضربنا بها، وكنا نمشي على إسفلت حار وعليه حجارة صغيرة، وقد

تألمت جدا كوني حافيا والمسافة التي قطعناها ركضا تقرب من الكيلو متر، وطوال المسير كان العساكر يضربوننا، ثم وصلنا إلى قبو الفرع فرأينا رجالا ونساء بعضهن محجبات وبعضهن متبرجات ويظهر أن هؤلاء جواسيس وناقلي أخبار للنظام، وفي القبو فكوا قيودنا وكان معنا نساء معتقلات قد قيدوا بسلسلة وحدهن.

وفي القبو رأيت ثلاثة مساعدين ومعهم عساكر وهم ضخام الأجساد جدا، وبيد أحد المساعدين زجاجة ويسكي، فلما رأى النساء المعتقلات اللواتي أُحضرن معنا، قال: اليوم سهرتنا حلوة، ثم أدخل النساء إلى أحد المهاجع، وأما نحن فنظر إلينا مساعد آخر، وقال: كيف تسجدون لربكم؟ كونوا على تلك الهيئة وقريبا ستسجدون لربكم بشار، فصار السجناء على هيئة السجود، وكان ذلك مؤلم جدا، فالحجارة التي على الأرض تشعر كأنها إبر أو سكاكين حادة في جبهتك، وبعضهم قال: لا أقدر، فجاء المساعد وظل يضربه حتى أنهكه، وتعلل البعض بمرض فتركهم، وكنت أحدهم وآثار التعذيب الشديد بادية على جسدي، فقال: قف جانبا، وظل السجناء قرابة نصف ساعة على هذه الهيئة حتى سالت الدماء من ركبهم وجباههم، ثم أدخلونا غرفة فسألونا فيها عن أسمائنا ومنها إلى غرفة أخرى لتسليم الأمانات، وتفاجأت أن جميع الأمانات التي كانت معي قد سرقت ولم يبق منها سوى الهاتف الجوال والبطاقة الشخصية، ولكن لا يمكنك هناك الاعتراض أبدا، فعندما قال لي مسؤول الأمانات: معك هاتف وهوية فقط؟ قلت: نعم، ولا أقدر على قول غير ذلك وإلا كان نصيبي حفلة تعذيب مريرة تنتهي باعتذاري على سوء أدبي ووقاحتي باتهامي الأيدي الأمينة بالسرقة، وبعدها مشينا في ممر طويل على جانبيه مهاجع وفيه عساكر يسألون السجناء عن تهمهم، وبناء على الجواب إما أن يقال للسجين: تابع طريقك، أو قف جانبا ليوسعوه ضربا، فلما سألوني قلت لهم: لا علاقة لي بشيء، فأمروني بمتابعة السير، وإلى الآن لا نعرف أين نحن.

ثم بدأ العساكر بتعذيب من طلبوا منه الوقوف جانبا، ثم أدخلونا إلى مكان يُدعى التشميسة وهو فسحة سماوية مسقوفة بشبك تتسلل الشمس من خلاله ويشمس السجين فيها كل ثلاثة أشهر، وهناك جاء شاويش وأحضر لنا ماء، وقال: ادعوا لي أن

أخرج من هنا، ولم يكن منتبها أن المحقق يراه، فسبه وشتمه وقال: لن تخرج من هنا أبدا، وسألناه أين نحن؟ فقال: في فرع فلسطين (235) فكان وقع الجواب علينا كالصاعقة، فهذا الفرع مشهور بإجرامه وفجوره، وأخذنا نفكر بالضرب والتعذيب الذي ينتظرنا، ومعنا شباب لم يعترفوا بشيء، فاتفقنا أن نثبت على أقوالنا، وطلبت من الشباب أن يقولوا: إني لا أعرفهم ولا يعرفونني.

ثم أعطوا كل واحد منا رقما بدل اسمه، وكأنهم بذلك يريدون نزع كل ما يتعلق بإنسانيتنا، فنحن هنا مجرد أرقام لا قيمة لها، وكان رقمي 13/89 وقد نسيته ثلاث مرات.

وجاء سجين نصيري يريد ضربي، فوضعت يدي أمامي ولم يتمكن من إزاحتها، وعادت يده إليه، فمضى وهو يسب ويتوعد، ثم أخذني مساعد ونزل بي إلى طابق تحت الأرض، وهناك فتح باب أحد المهاجع مقدار شبرين، وقال: ادخل بسرعة، ورفع العصا ليضربني إلا أن حركتي كانت سريعة فدخلت وهوت عصاه على جنزير الباب، فتوعدني. لما دخلت إلى المهجع وجدت فيه قرابة مائة سجين، وناداني الشاويش وسألني: معك شيء؟ من أين أتيت؟ ورأى آثار التعذيب على جسدي، فأرسلني إلى زاوية الجرب والعفن، وأخذ جميع ثيابي إلا خرقة تستر القُبل، ووضع الثياب في كيس وعلقها حتى لا ينتشر القمل بزعمه، وعرفت أن مقامي هنا سيطول، وكان نصيبي من هذا المهجع بلاطة واحدة فقط للنوم.

بعد يومين بدأت أصوم واستمررت على ذلك مائة يوم حتى ضعف جسدي جدا نتيجة قلة الغذاء فتوقفت عن الصيام، فالطعام هنا رغيفان يوميا والسكر لا وجود له.

بقيت في هذا المكان ثلاثة أشهر دون أن أُطلب إلى التحقيق، وكنت أسمع السجناء وهم يذكرون اعترافاتهم، وكان السجناء من مختلف أنحاء سوريا؛ من حلب واللاذقية وحماة ودرعا ودمشق والغوطة ودير الزور والحسكة، وجميع تهمهم متعلقة بالثورة،

وفي السـجناء سـجين مـن الغـاب لا علاقـة لـه بشـيء إنمـا كان في الإمـارات فلمـا عـاد إلـى سـوريا كان الأمـن في اسـتقباله في المطـار، ومـن هنـاك سـاقوه إلـى الأفـرع الأمنيـة، وكان معنـا سـجين مـن حلـب طاعـن في السـن ضعيـف القـوى وهـو والـد لأربـع مجاهديـن ولا يبصـر أمامـه سـوى متريـن، ومـع ذلـك كان متهمـا بأنـه حامـل لرشـاش دوشـكا، وقـد أخبرنـا هـذا الرجـل أنـه ظـل موظفـا في البلديـة لمـدة خمسـة وثلاثيـن عـام، وكان الرجـل ذا همـة عاليـة، وكان يفخـر بـأن أولاده مجاهـدون.

كان بعـض السـجناء لسـوء الظـروف وقلـة الطعـام ينحـدر إلـى مسـتنقع الدنـاءة؛ فقـد يسـرق رغيفـا مـن سـجين آخـر، أو يـأكل قشـور البطاطـا المسـلوقة المعفنـة ممـا يـؤدي إلـى وفاتهـم بعـد ذلـك بعـد إصابتهـم بالإسـهال الشـديد نتيجـة التسـمم.

كنـت أسـعى لنشـر التفـاؤل وقـرب الفـرج فوضـع السـجناء يبعـث الصخـر على البـكاء، فهـذا يقـول: سـنموت هنـا ولـن نخـرج إلا إلـى القبـر، وآخـر يتذكـر أولاده ويبكـي لفراقهـم، فكنـت أحـاول التخفيـف عنهـم قـدر المسـتطاع.

والنظافة في هذا الفرع أفضل من غيره بكثير؛ فالماء متوفر ولدينا بعض المنظفات.
وفي إحـدى الليالـي نمـت فرأيـت في منامـي المنـام السـابق الـذي أسـمع فيـه قارئـا يقـرأ قولـه تعالـى (يَاأَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا اصْبِـرُوا وَصَابِـرُوا وَرَابِطُـوا وَاتَّقُـوا اللَّـهَ لَعَلَّكُـمْ تُفْلِحُـونَ) [سُـورَةُ آل عمـران: 200] فاسـتيقظت مستبشـرا، ثـم نمـت ثانيـة فرأيـت نفسـي أنـي في بيـت الله الحـرام مـع شـخص جميـل الوجـه جـدا لا أعرفـه أبـدا.

التحقيق في فرع فلسطين:

ثـم طلبونـي للتحقيـق فارتديـت ملابسـي وخرجـت، فضربونـي بالقضيـب الأخضـر الـذي يسـمونه الأخضـر الإبراهيمـي، ثـم أعادونـي إلـى المهجـع مـن غيـر أن يسـألوني أي سـؤال، وقبـل أن يدخلونـي المهجـع وقفونـي في مـكان أمـام أحـد المهاجـع ثـم فتحـوه؛ فـإذا بقرابـة الثلاثيـن فتـاة كلهـن غيـر متحجبـات، وهـن كذلـك لأن المسـاعد قـال لهـم عندمـا أفتـح المهجـع لا أريـد أن أرى واحـدة منكـن متحجبـة، ثـم أتاهـم المسـاعد بالطعـام وسُـحبت

إلى الأسفل بناء على طلب المساعد، ثم أعدت إلى المهجع لأنزع ثيابي مجددا وأعطيها إلى الشاويش وأبقى عاريا.

وبعد عدة أيام طلبوني، وكالعادة لبست ثيابي وخرجت فقُيدت وساقوني إلى الدرج ووقفوني هناك ساعتين وربع، قرأت خلال ذلك الوقت سورة ياسين عشرات المرات وربما ستين مرة، مع دعاء رب نجني من القوم الظالمين.

ثم تم اقتيادي إلى غرفة التحقيق، وهناك رأيت أدوات التعذيب من السلاسل وأدوات الصعق الكهربائي وقضبان التمديدات الصحية الخضراء، وكان الزبانية يطلقون عليها اسم الأخضر الإبراهيمي، وقد أدهشني وجود آلة تصوير (كاميرة) في زاوية الغرفة، وقلت لنفسي: من ذا الذي يشاهد ما يفعله المحققون هنا؟

كان المحقق ضخما جدا، ويمكن أن نقول أنه كان ثلاثة في واحد، وما إن أبصرني حتى قام واتجه إليّ وبدأ يضربني دون أن يسألني أي سؤال، ثم عاد وجلس وبدأ الأسئلة، وأشار إلى عنصر ليقف خلفي، ولم أشعر بذلك إلا بعد أن تلكأت في الإجابة على بعض الأسئلة فقام العنصر بضربي على كليتيّ بشدة، فبلت في ثيابي، وصبرني الله عز وجل -وكنت صائما- فأجبت الأجوبة نفسها التي ذكرتها في الأمن العسكري، وكنت واثقا أني لم أخطئ بحرف، فلما رأى المحقق ذلك غيَّر طريقة تعامله معي في هذه الجلسة، وقال: تعال اقترب مني أنت تبدو جيدا، اذهب فاستحم وقص أظافرك.

فخرجت متغير الهيئة جدا لكثرة ما ضربت بالأخضر الإبراهيمي، ووقفت في الممر الذي فيه مهجع الأخوات النساء وعدت إلى قراءة القرآن وذكر الله والدعاء، وأثناء ذلك سمعت صوت شاب يستغيث لشدة ما يضرب، وشاب آخر يعذب ولكنه لا يزيد على قوله: يا رب، يصرخ بها بصوت عالٍ، ولم يناشدهم أن يتركوه قط، وكلما اشتد تعذيبهم زاد من رفع صوته وهو يصيح: يا رب، فخجلت من نفسي لما رأيت من صبره وصموده وشجاعته، ثم أحضروه وصعدوا به الدرج، فلما بلغوا نهاية الدرج ركلوه

فتدحرج إلى أسفل الدرج -وعدد الدرجات يقرب من عشرين درجة- واختفى صوته وأظن أن روحه ارتقت إلى السماء؛ لأني عندما نزلت رأيت الدرج مصبوغا بدمائه.

وأثناء وقفوفي رأيت كيف يخرج الزبانية النساء إلى التحقيق إما سحبا من شعورهن أو جذبا من أكتافهن، وإحدى النساء التي أخرجت كانت عجوزا، ثم أُعدت إلى المهجع وهناك وجدت سجناء جدد قد أُتي بهم إلى مهجعنا، وأحد هؤلاء السجناء عينه الأولى في الشرق والثانية في الغرب، فقد كان شديد الحول، فسألناه عن تهمته فذكر أنه متهم بأنه قناص، فلم أدر أأضحك أم أبكي من هذه التهمة؟!

وكان معنا في المهجع شاب صغير لا يتجاوز عمره سبعة عشر عاما وحتى يجبره المجرمون على الاعتراف كانوا يسمعونه صوت أمه وأخته وهما تقولان له: اعترف. ورأيت شبابا من مدينة حماة صغار السن قد اعترفوا بحمل السلاح وهم أصغر من ذلك، وقد حطمت نفوسهم.

رأيت بأم عيني خطيب جمعة من دمشق وهو معروف في دمشق ومحترم في وسطه الاجتماعي، وعمره يزيد على خمسين عاما، كانوا يعذبونه نفسيا بأن يخرجوه فيظل واقفا ثلاث ساعات بانتظار التحقيق ثم يعيدونه دون أن يحققوا معه، فعلوا ذلك مرات عديدة، ثم أُخرج يوما فضُرب ضربا شديدا حتى اعترف أنه أيد الإرهابيين بالكلام.

ويا للغرابة، فقد كان كثير من المتهمين الموجودين معنا في الفرع نازحين إلى اللاذقية وطرطوس، وخاصة من كان حلبي الأصل، فكان النصيرية هناك يطردونهم عن طريق كتابة تقارير أنهم مسلحون فيتم اعتقالهم.

كان معنا رجل يبلغ الخمسين عاما، وقد اعتقل لأن ابنه مجاهد فضربوه أثناء التحقيق على كليتيه ثم مات في الليلة ذاتها أمام أعيننا.

أحضروا شابا إلى مهجعنا وقد اختفت معالم وجهه لكثرة الكدمات والجروح والحفر، ولم يكن قادرا على الكلام، ومات في الليلة نفسها التي أُحضر إلينا فيها.

وبعد أربعة أشهر من إحضاري إلى هنا طُلبت إلى التحقيق مجددا، وكان جسمي على وشك الانهيار لانعدام السكريات، فلما صعدت إلى غرفة التحقيق سألني المحقق الأسئلة ذاتها وزاد عليها، فحافظت على الأجوبة نفسها وثَبَتُّ على أني لم أحمل سلاحا ولا خرجت في مظاهرات، إنما أعرف أبا محمد فقط، فقام إليّ وانهال ضربا عليّ، ثم أخرجني إلى الممر، وكنت مصابا بجميع الأمراض التي تنتشر في السجون ومعظمها أمراض جلدية كالجرب وأمراض أخرى لا أعرف أسماءها، وعدم التعرض إلى الشمس سبب رئيس في وجودها، وتنتشر العدوى عن طريق القمل وغيره.

وعندما وقفت على الدرج بدأت بسماع أصوات تعذيب الأخوات النساء وسبهن بأعراضهن وضربهن، ولم أكن قادرا على الوقوف فجلست القرفصاء، وكنت أحترق ألما عند سماع صراخ الأخوات، ولكن كيف أنصرهن وأنا غير قادر على الوقوف على قدمي، ولما رآني العنصر جالسا القرفصاء ركلني فتدحرجت ثلاث درجات وأمسكت بالدرابزين لأوقف التدحرج وتابعت نزول الدرج بنفسي، فغضب وتبعني إلى أن بقي بيني وبين الأرض ثلاث درجات فركلني ركلة قوية ثم صار يقفز فوقي وهو يلبس حذاءه العسكري ويضربني، ثم قال للمساعد: سيدي هذا قادم إليك - ودائما الضرب بالأخضر الإبراهيمي أثناء الصعود والنزول - فلما وصلت إلى المساعد ضربني ثم ساقني إلى المهجع.

أثناء وجودي في فرع فلسطين رأيت في منامي جدي رحمه الله -وكان صلبا في دينه- يضربني ويوبخني ويقول: «قُوم ولاك» نحن منتصرون بإذن الله، أنا لم أُربِّك هكذا، فلما استيقظت انتفضت مجددا وعادت إليّ الروح المعنوية.

ضعفت مرة فذهبت إلى الرجل والد المجاهدين الأربعة المتهم بكونه رامي دوشكا، وقلت له: يبدو أن جلوسنا هنا سيطول ولن نخرج، فصفعني بكفه، وقال: إذا كان

يقينك في الله وأن هذا قدر الله المكتوب علينا فهو يقين صحيح، وإن كنت تظن أن بشارا لن يخرجنا فأنت مخطئ فالله أقدر من بشار وسيخرجنا وإن لم نخرج إلى بيوتنا فسنخرج إلى الله، فأثر كلامه فيّ جدا وعادت إليّ قوتي مع ضعف جسدي، فصمت خمسة أيام ولم أقدر على المتابعة لسوء التغذية.

الانتقال إلى فرع الإيداع:

ثم نقلنا إلى فرع آخر -وقد مضى علينا في فرع فلسطين أربعة أشهر ونصف- وأثناء ذهابنا لصعود السيارة تم وضع العصائب على أعيننا وضربنا إلى أن ركبنا السيارة، فسارت بنا إلى فرع لا نعرفه، إلا أن المسافة التي قطعتها السيارة لا تتجاوز بتقديري كيلو متر واحدا فقط، فلما وصلنا نزلنا درجا طويلا قرابة الأربعين درجة حتى وصلنا إلى القبو، وهناك استُقبلنا كالعادة بالضرب والشتم، ثم أُدخلنا إلى المهجع، وكنا خمسين شخصا، والتعليمات هناك أنك عندما تدخل تستقبل الحائط بوجهك مباشرة واقفا وكذلك تفعل كلما فُتح الباب.

ولا يوجد في هذا المهجع خلاء لقضاء الحاجة، وإنما نخرج إلى قضاء الحاجة مرتين أو ثلاثة في اليوم، ويُمنح كل واحد بضع ثوان ليقضي حاجته، وإذا لم يخرج فإن الجلادين يفتحون الباب عليه ويخرجونه مع الضرب والشتم بأقذع الألفاظ، كما أنه يوجد في المهجع تنكة تسع ستة عشر لترا يقضي السجناء حاجتهم فيها داخل المهجع، ثم يخرجونها في اليوم التالي ويرمون ما بداخلها في الخلاء.

وكان هذا الفرع هو الأشق والأصعب من بين جميع الفروع التي دخلتها، فلا يوجد فيه مياه كافية ولا طعام كاف ولا دواء ولا منظفات، مع ضيق شديد في المكان، ولا تعرف أصدقاءك ولا يعرفونك.

ومعي في هذا المهجع العشرين شابا أبناء دعوتي، وقد عُين أبو محمد شاويشا للمهجع، وقد ساءت حاله الأخلاقية والدينية جدا، فكان يكفر فيسب الله ويشتمه ويتطاول على الإخوة ويسيء إليهم ويسبهم بأعراضهم ويعاقبهم، حتى يخيل إليك

أنه ضابط في الفرع، وقد جرى هذا التحول خلال شهر واحد، نسأل الله الثبات.

ونحن في هذا الفرع إيداع، وقد بقيت فيه قرابة أربعة أشهر، ودائما هناك أناس جدد يحضرون إلى مهجعنا، وقد مات خلال هذه الأشهر أكثر من خمسة وثلاثين شخصا من مهجعنا؛ لتردي الأوضاع الصحية والغذائية، منهم ثلاثة من أبناء دعوتي. ومع أن الضرب هنا قليل مقارنة بالأفرع السابقة، إلا أن الوضع كان غاية في السوء، فالطعام قليل وقيمته الغذائية قليلة، ولا يوجد دواء، والأوساخ منتشرة، والأمراض مستشرية، والنظافة معدومة، كنت أسمع السجناء يتحدثون أنهم سيذهبون إلى أوربا أو غيرها بعد خروجهم من السجن، وكان دعائي الوحيد أن ييسر الله لي طريقا إلى أرض الجهاد، وكنت أرفع صوتي أحيانا بالدعاء من غير قصد فكانوا يخرسونني مباشرة، وربما ضربوني خوفا من عاقبة ذلك.

وللأسف فمعظم الموجودين في المهجع لا يصلون أو أعرضوا عنها وتركوها، وقد منّ الله علي فحافظت عليها ولم أدعها أبدا، وكنت أنصح السجناء بالصلاة، فلم أر استجابة وقبولا، بل إن أبا محمد شاويش المهجع قد رماني في زاوية المهجع بالقرب من تنكة البول والغائط؛ لأني أصلي.

أحد أفراد دعوتي كان مؤيدا للنظام وقد ناصر الشبيحة وساعدهم وقدم لهم التسهيلات عند دخول الجيش النصيري إلى حماة، ولكن كونه يعرف أبا محمد اعتقل واعترف تحت التعذيب بما لم يفعله قط.

أهوال وفظائع:

هذا الرجل حضرته الوفاة وبدأ يعاني من سكرات الموت فجئته وكان يسب الله والدين وقد يئس من الخروج من السجن، لما جلست عند رأسه كان ينظر إلى الأعلى فطلبت منه أن يتشهد ففعل، وبعدها بقليل عاد وسب الله والدين، فعدت وطلبت منه التشهد ففعل، ثم عاد يكفر حتى لم يعد قادرا على الشهادة، فوضعت يدي على عينيه، وقلت له: قل: لا إله إلا الله، فلم يقدر، فقلت للشباب: من يستطيع منكم

مساعدته ليتشهد فليفعل، فقال أبو محمد: اتركه يفطس، فلم ألتفت إلى كلامه ورجعت أحاول أن أجعله ينطق الشهادة وصرت أهزه وآمره بالشهادة فلم يفعل، وكان يبول في ثيابه، وحاولت مرارا دون جدوى حتى يئست، وصرت أبكي والسجناء ينظرون وكأن الأمر لا يعنيهم، ومات الرجل، وفي اليوم التالي حمله السجناء ووضعوه في سيارة كبيرة (براد) كانت تأتي لأخذ الجثث وتذهب بهم إلى مكان لا نعلمه، وقد ذكر لي بعض الشباب الذين كانوا يضعون الجثث في السيارة أن فيها جثثا متعفنة للشبيحة.

ومن المشاهد التي أثرت فيّ أيضا أن شابا من أفراد دعوتي أيضا حدثني قبل موته بأربعة أيام أنه يحب فتاة علوية من طرطوس وسيخطبها ويتزوجها بعد أن يخرج من السجن، فكنت أثنيه عن التفكير بهذه الأمور، وأقول له: أنت بأمس الحاجة إلى الطاعة والتقرب من الله ولن ينفعك إلا ذلك.

ثم حضرته الوفاة فحمله الشباب ووضعوه قرب تنكة البول والغائط؛ لأنه سيبول ويتغوط دون أن يشعر، فقال لي: أين سأذهب؟ أريد أن أخرج من هنا، لا أريد أن أموت، فكنت أذكره بالله وأطلب منه أن يتشهد، فلم يفعل، حتى ظننت أن بلسانه علة، ففتحت فمه لأنظر فلم أر شيئا غير طبيعي، فعدت أطلب منه الشهادة إلا أنه مات ولم ينطقها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مع كل يوم يمر كان يقيني يزداد، وأطلب من الله أن ييسر لي طريقا إلى أرض الجهاد، وأقول: اللهم هيئ لي طريقا إلى أرضك لأقاتل أعداءك وأدافع عن دينك، وهذا كان دعائي ولم أدع بأن ألتقي بأهلي ولا أن أراهم.

مات معنا في السجن كثيرون، بعضهم كانت خاتمته مخيفة، والبعض الآخر كانت خاتمته مبشرة، ومنهم أناس حضرتهم الوفاة فظلوا يرددون: لا إله إلا الله، حتى ماتوا.

كان معنا رجل طاعن في السن عمره خمسة وسبعون عاما، وهو من جبل الزاوية من قرية دير سنبل، وقد قال لي: أولادي مجاهدون، وكان لا يعبأ بأحد، يصرخ به

العسكري فلا يلتفت إليه، وهذا الرجل قد مات فجرا، ولا نعرف وقت الفجر إلا من خلال إحضار الطعام فهم يحضرونه فجرا، وإلا فليس لدينا ساعة، ولا نميز الليل من النهار.
عند الفجر صاح هذا الرجل بصوت عال: يا رب، ثم سقط ميتا، وعندها جاء الضابط، وقال: من صرخ؟ فأخبرناه، فانهال عليه ضربا وهو ميت، ثم قال: ضعوه في السيارة. أصبت ببعض الخراجات في رجلي، فتضخمت ركبتي جدا، وامتلأ ما حولها بالقيح، وقال لي بعضهم: هذا قد يتسبب ببتر رجلك ما لم تجد له حلا، فكان يمسكني خمسة أو ستة من الشباب ثم يعصروا ليخرج القيح وأنا أتألم جدا.

نزل وزني إلى ما دون الثلاثين كيلو غرام، وأخذ شعري يتساقط، وظننت أن دوري بالموت قد حان، وبلغ الضعف مني أني إذا ضُربت سال مكان الضرب دما، والحقيقة كنت سعيدا جدا بأني سأموت وأنتهي مما أنه فيه من الآلام والشدائد، فنمت ليلة فرأيت في نومي شخصا داخل الكعبة لا أذكر ملامحه جيدا والناس يقولون: إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصوات التكبير تصدح في الأرجاء، والناس يطوفون حول الكعبة، ثم استيقظت منتصف الليل وأنا أبكي، ولم أستطع النوم مجددا، واستمررت بالبكاء وشعرت براحة وطمأنينة.

بداية الفرج:

وفي اليوم التالي نادوا اسمي ظهرا، فأوصيت صديقا لي بالثبات وطلب مني الدعاء فعاهدته ألا أنساه، ومشيت إلى الباب، ثم خرجت زحفا لشدة الوهن والضعف، ذهبوا بنا إلى الخارج دون ضرب، غير أنهم عصبوا أعيننا وقيدونا، ثم أعادونا إلى فرع فلسطين ثانية، وكان النقل نهارا فمست الشمس جسدي، وفي فرع فلسطين أُمرنا بالوقوف ووجوهنا إلى الحائط، وكنت غير قادر على الوقوف، فكنت أجلس القرفصاء بين الفينة والأخرى، ثم جاء ضابط، وقال لنا: شدوا حيلكم أنتم سوف تخرجون من هنا، ثم ذهبنا لاستلام الأمانات، فسئلت ماذا لديك في الأمانات؟ فقلت: هاتف جوال وبطاقتي الشخصية، فقال: الجوال مصادر، خذ هويتك.

ثـم صعدنـا في حافلـة وطلبـوا منـا إنـزال رؤوسـنا إلـى الأسـفل، وصعـد ضابـط وخاطبنـا قائـلا: أنتـم سـتذهبون إلـى أهاليكـم بعـد هـذه المـدة التـي أمضيتموهـا، ومـا رأيتمـوه في الداخـل يجـب ألا تذكـروه لأحـد حتـى لا نعيدكـم إلـى هنـا، ويـل لكـم إن فعلتـم ذلـك، سـنحضركم أينمـا كنتـم.

كنـت يتجاذبنـي شـعور بالفـرح والنجـاة وشـعور بالغضـب لمـا رأيـت مـن الظلـم، وكنـت أقـول في نفسـي: هـل سـيأتي يـوم أقتـل فيـه هـذا الضابـط الـذي يطلـب منـا نسـيان كل القهـر والظلـم الـذي مـر بنـا؟

ترحيلات الخروج:

سـارت بنـا الحافلـة إلـى مـكان أجهلـه، فدخلنـاه وفيـه أنـاس يدخلـون وآخـرون يخرجـون، والعسـاكر الذيـن تسـلمونا يبـدو أنهـم جـدد، فكنـا نخـاف ونهـرب منهـم، فيقولـون لنـا: لمـاذا تهربـون؟ تعالـوا لا تخافـوا، وسـمحوا لنـا بالتغسـيل ثـم أدخلونـا إلـى مهجـع ملـيء بالسـجناء وفيهـم أصحـاب جرائـم جنائيـة، وفي هـذا المـكان نـدوة تشـتري منهـا مـا أحببـت، وقـد خرجـت مـن هـذا المـكان ولـم أعـرف اسـمه.

وقـد خـرج معـي مـن الاعتقـال ثلاثـة مـن أفـراد دعوتـي، وكانـوا يكنـون لـي بغضا شـديدا؛ لأنهـم مـن جماعـة أبـي محمد!

بقينـا في هـذا المهجـع سـاعتين، ثـم نـادوا أسـماءنا فركبنـا في سـيارة كبيـرة جـدا فيهـا مقاعـد، ولـم يضعـوا العصائـب على أعيننـا، ولكنهـم وضعـوا القيـود في أيدينـا، وسـارت بنـا السـيارة حتـى وصلنـا إلـى الشـرطة العسـكرية في القابـون، وكان الزحـام هنـاك شـديدا جـدا، فانتظرنـا سـاعة ونصـف وكان الجـو بـاردا جـدا، ثـم دخلنـا وبقينـا هنـاك يوميـن، ويوجـد أعـداد كبيـرة مـن السـجناء فيهـم عسـاكر وضبـاط، وكانـت تجـري بينهـم وبيـن السـجانين مشـادات ويصـرخ بعضهـم على بعـض ويسـب بعضهـم بعضـا ويتبادلـون التهديـد والوعيـد.

وهناك كان أحد المساعدين سكرانا فخطر له أن يتسلى بتعذيبنا، فأمر بإخراجنا وبدأ بضربنا، وقد نالني من الضرب ثلاث صفعات، وأخذ الدم يسيل من وجهي، وكنت لا أزال غير قادر على المشي بل أزحف زحفا، وهذا ما جعله يزداد وحشية ويفيض علي المزيد من حقده وإجرامه، ثم نقلنا إلى مهجع آخر، وهناك رأيت السجناء بلباس السجن النظامي، وهو مقلم بخطوط بيضاء وسوداء، وقد أخبروني أننا سنحول إلى عدرا، وأضافوا أن سجن عدرا بالنسبة لما هنا فندق فاخر (خمس نجوم) وقالوا: لقد خرجت من الجحيم إلى النعيم.

وبالفعل حولنا في اليوم التالي إلى سجن عدرا، وكان مع أحد السجناء علبة حلاوة، فكانت أول مرة أذوق فيها السكر منذ عام تقريبا.

خلال الطريق كانت المعاملة بشكل عام جيدة، لكن المساعدين هم أسوأ الناس هناك، ولم تكن قيودنا شديدة على معاصمنا، ولما وصلنا إلى عدرا أُمرنا بخلع الملابس الخارجية ورميها، وأعطونا ملابس جديدة خاصة بالسجناء، ولم نلبسها إلا بعد أن اغتسلنا وعُقمنا كما هو القانون هناك، ويسبق ذلك الذهاب إلى الحلاق. لما دخلت إلى الحلاق كان شعري متساقطا، فنظر إلي، وقال: ماذا أحلق لك؟ أنت محلوق، ثم أعطاني إشارة لأذهب إلى الحمام لأغتسل، فلما دخلت الحمام وفتحت الصنبور سالت ماء ساخنة، وهذه أول مرة أغتسل فيها بماء ساخن منذ اعتقلت. ثم وزعنا على المهاجع، وبما أنني كنت تحت السن القانوني لما قبض علي، فقد فرزت إلى مهجع الأحداث، فلما دخلته استقبلني من هناك أحسن استقبال لما رأوا سوء حالتي، فهذا يعطيني طعاما وذاك لباسا وآخر يشتري لي شيئا من الندوة، وقد بقيت في عدرا ثلاثة أيام لم أقدر خلالها على النوم جيدا؛ لأن كوابيس التحقيق والتعذيب كانت تلاحقني، فكان الشباب يوقظونني من النوم وأنا أصرخ، وقد استمرت هذه الكوابيس لمدة عام كامل بعد خروجي من السجن.

وفي عدرا أخبرني أحد الشباب أنه يوجد طبيب يمكن أن يطلع على حالتي، كما أنه يوجد في السجن هاتف ويمكنني الاتصال بمن أشاء، ففرحت جدا وسارعت إلى

الاتصال بأهلي فقد كنت أخشى أن يكون أحد منهم قد اعتقل بسببي.

وفي عدرا يوجد شاشة كبيرة تعرض فيها قناة سما السورية، فقلت للسجناء: هذه قناة كاذبة لا ينبغي أن تتابعوها، فقالوا: نعلم ذلك، ولكن إدارة السجن هي من يتحكم بما نشاهد وليس نحن.

وبشكل يومي يعرض على القناة مساء أسماء من سيحول غدا إلى القضاء، فرأيت اسمي مكتوبا فخررت لله ساجدا، وكانت فرحة عظيمة جدا، وفي الصباح طلبوا مني الاستعداد للخروج، والسجانون هناك مرتشون، ومن عادتهم أنه عند خروج السجين يتبعونه ليعطيهم حلوانا، ففعلوا ذلك معي فأخبرتهم أني لا أحمل قرشا، فساءت معاملتهم معي وأجبروني على حمل الأمتعة التي سلموني إياها لأعيدها لإدارة السجن، ولم أكن قادرا على ذلك أبدا، فأخذت أسحبها على الأرض حتى سلمتها، ثم أحضروا حافلة صغيرة فركبناها وركب عدد من عناصر الشرطة أيضا ولباسهم أبيض، وسارت الحافلة حتى وصلنا إلى القصر العدلي في دمشق، وكان ذلك في يوم الخميس، فانتظرنا دورنا إلا أن الدوام انتهى ولم يأت، فتأجل النظر في قضيتنا إلى يوم الأحد، ثم نقلونا إلى النظارة، وفيها رجل قادم من الإمارات ومعه مال كثير، فكان يحضر لي كل ما يخطر ببالك من الأطعمة، ويقول لي: ادع لي بالفرج والخروج من هنا، وجميع الموجودين هناك جرائمهم سرقة أو مخالفة مرورية أو حادث وما شابه ذلك، وقد اعتنوا بي جدا، وكان فيهم رجل من السودان كان يكرمني بالطعام جدا، بل يمكنني القول أن السجناء كانوا يتبارون في إكرامي والاهتمام بي، وبعضهم عرض عليّ أن يأخذني إلى منزله بعد خروجنا، وآخر عرض علي أن يستأجر لي في الفندق، ولم أجد ما أرد به جميلهم إلا الدعاء لهم والثناء عليهم، وكان قلبي يرقص فرحا ليس لإكرامهم إياي وإنما لتعاطفهم مع قضيتي وكثرة الخير فيهم، فهم لم يكرموني لشخصي وإنما لقضيتي وتهمتي عند النظام وسوء حالي الصحي والغذائي.

الخلاص من الألم:

وفي يوم الأحد نادى الشرطي اسمي وكنت لا أزال ضعيف القوة جدا، فصعدت بمشقة شديدة حتى وصلت إلى القاضي، فسألني عن اسمي ومن أحضرني إلى هنا، ثم قال لي: لماذا لا تقدر على الوقوف؟ فقلت له: لا أقدر، فقال: هل تحتاج مالا؟ وهل تذكر أين أهلك؟ لأنك ستخرج الآن، فقلت له: لا أحتاج مالا وأعرف كيف أصل إلى أهلي والله يعطيكم العافية، فقال: توكل على الله واذهب، فأخذت هويتي ثم مضيت أحبو تارة وأزحف أخرى وأمشي متكئا ثالثة، حتى وصلت إلى باب القصر العدلي وهناك وجدت جمهرة غفيرة من الناس متجمعين أمام الباب، وكلهم يريد أن يسألني هل رأيت قريبه في الداخل، فقال لي الحارس: لا تجبهم وإلا دخلت ثانية، فقلت: أنا لا أعرف أحدا وتابعت طريقي، فتبعني عدد من الناس يسألونني عن ذويهم، فقالت: لا أعرف أحدا، وجاءت إليّ امرأة منهم، فقالت لي: إلى أين أنت ذاهب؟ فقلت لها: لا أدري، هل معكِ جوال؟ فقالت: نعم، فاتصلت بوالدي وأخبرته بمكاني (في مطعم حددته له) ليأتي إليّ ويأخذني، فقال: سآتي حالا ومعي أخوك، ثم جلست على جانب الطريق أرتاح قليلا، وأثناء ذلك نزل رجل من سيارته ودفع إليّ خمسة آلاف ليرة فشكرته ورددتها، ثم ذهبت إلى المطعم فجلست فيه فتجمع الناس مستغربين من هيئتي وهزالي، وقالوا: هل نأخذك إلى المستشفى فشكرتهم، وأخبرتهم أني أنتظر والدي وسيأتي عما قريب.

وجاء إلي صاحب المطعم، وأحضر جميع أصناف الأطعمة التي لديه، وقال لي: كل، فهذا كله ثمنه مدفوع، ولك مني خمسة آلاف ليرة تعود بها إلى أهلك، فشكرته جدا واعتذرت بأني لا أستطيع الأكل ولست بحاجة إلى المال، وتأثرت جدا بالمواقف الطيبة التي رأيتها، فلا يزال الخير يجري في دماء الناس رغم كبت الطاغوت على أنفاسهم.

ولم يطل بي الانتظار، فقد جاء والدي وأخي، وما إن وقعت عينا أبي عليّ حتى انهمرتا بالدموع، وقال: ماذا جرى لك؟ وأخذ يطمئن علي، وكذلك فعل أخي، وكان لقاء حميما لا يشبهه أي لقاء آخر.

ثم سافرنا إلى حماة فوصلناها في صباح اليوم التالي لخروجي، وكان الأهل جميعا بانتظاري، وعلى رأسهم أمي، وأغلب من رآني كان يبكي لما شاهده بي من الضر والضعف والهزال وسوء الحال، بل إن بعضهم لم يعرفني للوهلة الأولى، فقد كنت كما قال لي أحد العساكر: تبدو كمومياء.

ذكريات وآلام:

ولأذكر هنا بعض ما رأيته في مدة اعتقالي من أمور تدمي القلب وتبكي العين:

رأيت في سجني شابا من درعا كان قد سلَّم نفسه ضمن التسويات فاعتقل، وكان جسمه غير واضح المعالم من شدة الضرب، ورأيت شرطيا فر ثم عاد وسلّم نفسه وسلاحه فبقي منبوذا في السجن سنة كاملة، وفي أثناء وجودي لم يُسأل عنه أبدا ولم يخرج حتى للتحقيق.

عندما سألت معظم المعترفين بسلاح وغيره، لماذا اعترفتم؟ فذكروا التعذيب ووعود المحققين لهم أنهم إن اعترفوا فسيشملهم العفو، فمنهم من صبر لكن وثق بأعداء الله فوقّع على الاعترافات، ولكنه ولم يخرج وظل سجينا في مسالخ النظام البشرية.

في التحويل الثاني كان الضابط الذي يتلو الأسماء ينظر فمن كانت إضبارته فيها اعترافات بحمل السلاح وإن كان الاعتراف ظلما، قال له: ستعدم.

وقد اختلست النظر إلى الورقة التي كانت مع الضابط يتفقد من خلالها الأسماء فرأيت مكتوبا في الورقة بجانب المعترف بحمل السلاح كلمة بالقلم الأحمر لم أستطع قراءتها، بينما مكتوب بجانب اسم من لم يعترف كلمة: إرهاب.

رأيت في سجني أخا وأخاه حين خرجوا للتحقيق وكانا طالبين في الجامعة من ريف حماة أذيقوا ألوان العذاب واستعملت فيهم شتى وسائل التعذيب، وجعلوا تعذيبهم أمام بعضهم لكي ينهاروا، فرجع الأول يبكي بحرقة على الثاني ورجع الثاني يبكي بحرقة على الأول، وقد اعترفا في جولة التحقيق الأولى بأشياء لم يفعلوها ليخلص كل واحد منهم أخاه من العذاب، ولم يعلما أن ذلك سيزيد الأمر سوءا.

رأيـت في سـجني عسـاكر للنظـام، كان النظـام قـد تنبـأ بمـا في قلبهـم في ظاهـرة لـم تحـدث مسـبقا!! فرماهـم بالسـجن بتهـم متعـددة ولشـهور طويلـة، كان مـن بينهـم شـاب مسـيحي واحـد، فلمـا ابتلـي بمـرض سـألني كيـف أحفـظ مـن القـرآن فأخبرتـه أن هنالـك قارئـا معنـا يمكـن أن يسـاعده، وبـدأ حينهـا يجلـس معـه لعـدة أيـام يتلـو عليـه آيـات مـن كتـاب الله ويعلمـه. والقضيـة أنـه في السـجن بفـرع كهـذا مـع الإرهابييـن -كمـا يدعـون- يضعـون فقـط عسـاكر السـنة ويعذبونهـم، ورغـم ذلـك تجـد في نفـوس بعضهم قيـد العبوديـة لبشـار.

ناقـوس السـاعة الثانيـة عشـرة ليـلا في فـرع فلسـطين هـوس كل معتقـل، ففـي ذلـك الوقـت يشـرب المسـاعدون المجرمـون كميـة كبيـرة مـن الكحـول وتأتيهـم السـكرة كمـا تسـمى، فإمـا أن تكـون لصالـح المسـاجين أو عليهـم؛ في الأولـى يقدمـون مـا تحتاجـه المهاجـع مقابـل سـرقة أمـوال الأمانـات، وفي الثانيـة إذا سـمعوا صوتـا مـن أحـد المهاجـع نـادوا الشـاويش وأمـروه أن يخـرج مـن يصـدر الصـوت، وفي إحـدى النوبـات وهـي نوبـة أحدهـم ويعـرف باسـم أبـي جعفـر وكان أشـدهم إجرامـا فمـن يقـع بينـه يديـه إمـا أن يمـوت ضربـا أو تكتـب لـه حيـاة جديـدة.

رأيـت في سـجني أناسـا عالقيـن في الأفـرع منـذ بدايـة الثـورة، والجـرم الأكبـر قبـل القتـل هـو السياسـة والتعامـل الخارجـي، ففـي هـذا النظـام يحـل لبشـار ودولتـه بيـع سـوريا لروسـيا وإيـران، ومحـرم على الشـعب التواصـل مـع أحـد، فقـد رأيـت إخـوة منـذ عـام 2011 أضابيرهـم (مفقـودة) وملفهـم معلـق بالتحقيـق! بتهـم مختلفـة كالتعامـل مـع الإخـوان وغيرهـم مـن الجماعـات السياسـية في الخـارج.

رأيـت في سـجني أناسـا وشـى بهـم مهربـون فسـلموهم للنظـام، وكان ذلـك عبـر اتفـاق تصـل قيمتـه الـ 3000$ ليصلـو سـوريا مـن طريـق لبنـان، فأجبـروا تحـت التعذيـب على الاعتـراف بحمـل السـلاح فذهبـوا أدراج الريـاح، وكان منهـم اثنـان مـن الغـاب.

رأيـت في سـجني شـابا عمـره قرابـة الثلاثيـن مـن دومـا، ولكنـه يسـكن حـي الميـدان،

سجن لمدة خمسة عشر يوما، وسبب ذلك أن هذا الرجل كان يبيع خضارا على بسطته، فجاء نقيب واشترى بعض الخضار ولم يدفع ثمنها، فلما طالبه بذلك الشاب كان مصيره الاعتقال بتهمة التظاهر ضد الدولة السورية.

ورأيت في سجني شابا كان يعمل عميلاً للنظام، وقد قال لنا: إنه ساعد النظام كثيرا ولكن ذلك لم يغفر له خطيئة أنه أعطى معلومة غير صحيحة، فرُمي بهِ في فرع فلسطين، وحولت وما زال فيه.

رأيت في سجني مجاهداً أُلقي القبض عليه في أحد أحياء دير الزور، تحول إلى ظالم داخل السجن يضرب ويعذب الناس، وذلك بعد أن طالت مدة سجنه دون تحقيق فأخذ ينتقم من الناس ويعذبهم ويشتم أعراضهم.

من المواقف التي مررت فيها بثورة الشام أن كثيرا من الناس في المناطق المحررة تعيش حياة طبيعية تماما وقد ينسون جرائم المحتلين وسجونهم، ولو أنه تفكر فيما يحدث لإخوانه وأخواته هناك من التعذيب والويلات لبكى دما ولمات قهرا.
رأيت في سجني رجلاً كبيرا ومعه اثنان هما أولاده من قرى ريف حماة الشمالي، ألقي القبض عليهم في ورشة لقطاف الزيتون في مناطق قريبة من النظام، وشى بهم عميلٌ للنظام على أنهم مجموعة رصد للمجاهدين! كان الشاب أحد الولدين عمره ثلاث عشرة سنة واعترف أنه حمل السلاح مرغما مع أخيه الكبير وأبيهم، -وكل ذلك لم يكن ولكنه الخوف والتعذيب- ومن المواقف التي لا تزال تؤلمني حين كنت أرى الوالد يحتضن ولديه ويبكون سوية والظلام الحالك قد أحاط بهم.
رأيت في فرع الأمن العسكري رجلاً جاءنا خمسة عشر يوما بعد أن وشى به عميلٌ للنظام في بلدته كرناز أنه قد سب مديرا في شركة يعملون بها وهي حكومية، تلك الشتيمة جعلته ينال خمسة عشر يوما سجنا وضربًا وتعذيباً، ولم تغفر له وظيفته وعمله ضمن الدوائر الحكومية ولم تشفع! قال له المحقق: كلنا نشتم حين الغضب، ذاك النذل كتب فيك أنك تشتم الحكومة، وتشتم بشار، وتشتم وتشتم!
رأيت في سجني مجموعة من كبار السن اثنان منهم من حماة وريفها وثلاثة من

ديـر الـزور، وكانـوا كلمـا دخـل سـجين جديـد هرعـوا اليـه وسـألوه عـن حـال المجاهديـن، وعندمـا أتانـا خبـر احتـلال النظـام لمـورك فـي ريـف حمـاة كانـت لحظـات أليمـة جـدا، كنـت بينهـم وكنـا نبكـي لله وندعـوه أن يثبـت إخواننـا المجاهديـن، نعـم فهـذا حـال النفـوس الصابـرة المحتسـبة لا يشـغلهم طعـام ولا سـوء حالهـم عـن إخوانهـم المجاهديـن.

جاءنـا خبـر مفـاده أن المجاهديـن أغـاروا فـي دمشـق عـن طريـق سـجين جديـد اعتقـل فـي دمشـق، فكبرنـا فـي قلوبنـا وسـجدنا لله، كنـت أرى بعينهـم شـوق الأب لأبنائـه، كنـت أرى حرقتهـم على إخوانهـم.

رأيـت فـي سـجني مقاتـلاً مـن حـي القابـون سـلم نفسـه للنظـام المجـرم، مخدوعـا بالتسـويات، فنـال تعذيبـاً شـديداً، وفـي ليلـة أتيـت إليـه أمسـح رأسـه وأسـاله عـن فعلتـه فيخبرنـي بندمـه، كان يحتقـر نفسـه ويبقـي نفسـه معـزولا عـن البقيـة، ويقـول: رب ظلمـت نفسـي!

كنـا فـي فـرع فلسـطين، وذات ليلـة تقـدم المجاهـدون فـي مـكان لـم نعرفـه إلا أن الزبانيـة جـن جنونهـم وبـدأ بكاؤهـم وسـكرهم، وأخرجـوا المعتقليـن وانهالـوا عليهـم ضربـاً لسـاعات طـوال.

فـي سـجني لـم تتجـاوز سـاعات نومـي السـاعتين ليـلا، ومثلهـا نهـارا فـي أوقـات محـددة، فقـد حـددوا فـي النهـار أوقاتـا يمنـع فيهـا تغميـض العيـن حتـى مـن قبـل الشـاويش وإلا ضربنـا، كنـت أناجـي ربـي وأدعـوه وأنـا مستشـعر قربـه ومعيتـه، مـع أن البعـض كان يسـخر منـي والبعـض الآخـر كان ينظـر ويبكـي وكأنـه يدعـو معـي.

لحظـة شـبحي بالأمـن العسـكري والألـم يعتصرنـي ويتمكـن منـي كمـا ذكـرت سـابقا ولكنـي أقسـم أنـي لا أعلـم مـا تلـك العنايـة التـي كانـت معـي، أخشـى الـكلام بيـن النـاس فيهـا، لكـنّ ألمـي لـم يكـن داخلـي إلا حزنـا على الأخـوات والإخـوة فـي السـجون، وخوفـا على أهلـي فـي الخـارج أن يصيبهـم مكـروه.

من المواقف الأليمة التي عايشتها أني كنت أحمي من لا أعرف ولم أرهم سابقا من أبناء قضيتي إلا أنهم كان إذا جاء ذكري قالوا للمحقق: إني كنت بينهم! ولكن بفضل الله كنت أسخّر الأدلة التي تنفي وجودي، ومنها عملية مسلحة اعترفوا بها لم تحصل أصلاً! ولكن نتيجة الضرب اعترفوا وقد عمدت للمحقق وأخبرته بوفاة عمتي حينها، فتأكد من سلامة كلامي وتركني.

رأيت في سجني عسكريا هاربا سلم نفسه حين احتل المحتلون الحزب والنظام بلده، فزج به في السجن.

رأيت في سجني رجلاً عمره ستة وخمسين عاماً، مات حزنا على فراق أحبته، وكنّا نناديه بحجي باتبو، ولم أستطع معرفة تفاصيل قصته إلا أني عرفت أنه أجبر على الاعتراف بما لم يفعله.

بعد السجن سمعت أن أخ أحد الذين كانوا ضمن العشرين شاب صار عميلاً كبيرا للنظام المجرم، وأكدت لي عدة مصادر أنه ترأس حملات أمنية!

الله أعلى وأجل، كانت كلمة قلناها في التشميسة، فجعلت جنون المساعدين يجن، وأخذوا من فوقنا يتبولون على الموجودين ويشتمون دينهم وربهم ويطلبون أن يرشدوهم إلى قائل الكلمة، ولله الفضل أنهم لم يعاودوا السؤال.

رأيت في سجني شابا من إحدى القرى في ريف جسر الشغور كان مطلوبا للخدمة العسكرية ومتأخرا عنها، فسلّم نفسه ظانا أنه سيوجه فورا إلى قطعته فخانه ظنه وحوّل إلى أفرع دمشق التي مكث فيها قرابة السنة ولم يتسن لي معرفة مصيره.

رأيت في سجني شابا مطلوبا للخدمة العسكرية في جيش النصيرية، حاول الفرار شمالاً، وكان فلسطينيا وهو خريج كلية الصيدلة، ولم تعفه أصوله الفلسطينية من

السجن والعقوبة، فحال وجودي بفرع فلسطين كان قد مضى على اعتقاله عشرة أشهر، وتم تعذيبه وإجباره على الاعتراف بأنه كان ضمن مجموعات مسلحة، كان هذا الشاب من بين المحتسبين الصابرين فما وجدته إلا صائما متضرعا لله.

القدوم إلى أرض الجهاد:

مكثت في حماة أسبوعا، ثم أخبرت والدي أنه لا بد لي من الذهاب إلى المناطق المحررة في الشمال، فقال: أنت مريض وتحتاج علاجا طويلا، إلا أني أصررت بشدة، فقال: هذا خيارك؟ فأجبت: نعم، فقال: استعد إذن، وكان وداع والدتي وفراقها صعبا جدا.

أوصلني والدي إلى الشمال ووضعني عند بعض أصدقائه، وكنت لا أزال ضعيفا مريضا، والنفس تضعف عندما تجد من يساعدها ويشرف عليها، مكثت شهرين حتى عادت إلي بعض قوتي وعافيتي وصرت أقدر على المشي بشكل جيد.

ثم علمت أن المجاهدين سيشنون هجوما على ريف حماة، وذلك في عام 2015، فأكرمني الله بالاشتراك في تلك المعركة، ونظرا لضعفي فقد كان عملي في الصفوف الخلفية مع رماة الهاون، وكان صدري يشتعل بغضا وحقدا على النصيرية.

وبعد شهرين آخرين اشتركت في معارك ريف حلب الجنوبي، ومعركة كفريا والفوعة، وريف حماة، وكنت عند دخولي هذه المعارك أدخل متطوعا غير منتسب لأي فصيل.

وبعد قرابة عام دخلت معركة في ريف حماة، وكنت داخلا ببندقية وآلة تصوير لأقاتل وأوثق، فأصبت إصابة شديدة في كبدي وأمعائي، أقعدتني في الفراش لمدة ستة أشهر.

ثم انتقلت للعمل في المجال الإداري والرباط والإعلامي، ولا أزال كذلك إلى الآن.

سوانح وخواطر:

أفتش بمنشورات أحدِ أصدقاء السجن، فأجد فيها الغيرة والنصرة حينها لإخوانه المحاصرين في حمص، وقد لامته نفسه على القعود وإخوانه محاصرون! وقد وصل خبر إعدامه لذويه منذ مدة، يا لفوزك يا أخي.. فكيف يطيب العيش لمن ينظر إلى حال إخوانه في السجون بعد أن يسمع هذا؟ وكيف للهمة الراكدة ألا تصحو بعد الغفلة الطويلة، فلطالما تحدث النفس الدنيوية قلبي وتسأله القعود والفرار فأتذكر صيحات الأسرى والأسيرات صيحات التعذيب والآلام، أتذكر عهد الشهداء وعهد المعتقلين فتنبضُ روحُ الجهادِ من جديد.

كانت من اللحظات الصعبة حين خرجت من السجن فوجدت رفاق الدرب قد شُتتوا؛ فمنهم من ارتد وناصر النصيرية، ومنهم من التزم بيته، ومنهم من فر إلى خارج سوريا، وثلة قليلة منهم بقيت في ركب الجهاد، أيقنت حينها تماما أن الجهاد غربة وليس صحبة فقط، أيقنت أن الجهاد يقين، وأن الطريق حفر وشوك، والسعيد من اجتازه ولو كان وحده.

أرى اليوم الجموع قد استنفرت ضد من جهر بعداوته للنبي صلى الله عليه وسلم، ويبقى العدو الأكبر آمناً فهو يحفظ أمن بني صهيون، فقد سمعت في سجني من شتائم النبي والرب شيئا أعظم بكثير من جريمة عدو الله الصليبي الحاقد ماكرون، فهؤلاء القردة يصفون النبي صلى الله عليه وسلم بأقبح الوصف وكل من عاش في مناطق العدو النصيري سمع كلام جنوده في كل دورية يقومون فيها، فتلك الشتائم والوصف أمرٌ عاديٌ لديهم.

فقدتُ خلال ثورة الشام منذُ اندلاعها قرابة مائة وخمسين أخا؛ ما بين صاحب وصديق ورفيق جهاد، وأتذكر منهم الكثير ممن حملوا راية الإسلام وبذلوا لأجله وقدموا أغلى ما يملكون، وأذكر لإخواني قصة أحد الإخوة الذين كانوا من أصحاب الحناجر الخفية وهو شابٌ في مقتبل عمره أراد المجرمون خنق حكايته فقتلوه بقرابة الأربعين رصاصة ورموه قرب منزله، وأذكر أيضا ذاك الأسد الذي جعل المحققين

يخشونه والذي ظل يصيح: يا رب يا رب، حتى اختفى صوته وتضرج بدمائه الطاهرة منتقلاً إلى ربه تاركا خلفه أمانةً لن يحملها متردد وخائف أو منافق، سيحملها مؤمن صابر محتسب باع الدنيا واشترى الآخرة.

أتذكر أولئك الرجال في الزاوية المظلمة يبكون ويستنجدون ربهم ليخلصهم من سجنهم لكن ليس هذا أول دعائهم، وأُشهد ربي أني رأيت في سجني من يدعو بألم وبكاء للمجاهدين بأن يكون الله معهم ويثبتهم ويتمنى أمنية أن يكون بينهم. وأذكر لإخواني وصية جدي الذي توفي بداية الثورة فقد كان يقول: الكلام لن يجدي مع هذا النظام المجرم، بل الاستعداد وحملُ السلاح والتجهز للحرب، وكان جدي قد كبر وشاخ إلا أنه كان يوصي إخواني وأبي بحمل السلاح دفاعا عن دينهم وعرضهم.

رسالة أخيرة:

إلى إخوتي في ثغور الرباط إلى أخوتي حاملي الهم ساهري الأعين لخدمة أمتهم إلى من لم يشرفني الزمان بعدُ بلقائهم المؤمنين في أرض إدلب الحبيبة إلى أهل السنة في العالم إلى كل مسلم مؤمن .

أتركُ لكم بضع كلمات وأسال الله العظيم أن تنال قلوبكم وتدخلها فتملكها وأن لا يحول بينها وبين قلوبكم شيء، وإن لم أستطع أن أصف لكم إلا القليل أو أصل بهِ إليكم كاملاً فأسال الله عز وجل أن يجعل لكم رشداً به، اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا .

وبعد: فيا إخوتي إن إخوانكم في الدين والذين خرجتم منهم الصيحة الأولى والذي تعيشون في نعيم تضحياتهم الآن بين شهيد ومعتقل قد تركوا لكم أمانة عظيمة ، فلا أكاد أذكر ذاك الرجل ذي الأربعين عاما في السجن حين سمع بنبأ انتصار المجاهدين في معركة كيف خر باكيا وكيف أن السجن لم يعد يسع امانيه.

وهل أحدثكم عن تلك الشيبة التي ما فتأ اليقين لا يفارقها، شوقاً لكم أخبرني

أحد الشِّباب أنه على يقين أن هنالك في المحرر من يحمل همَّ القضية وأن الثورة ماضية والركب يسير حاديه من ينصر الحق من تلك الثلة القليلة .

ماتزال تلك العفيفة تستصرخ أصحاب الضمائر أصحاب الدين والمبادئ وقد هتك عرضها الخنازير أولئك فلا يغيبنَّ عن مخيلتكم أبدا هذه الصورة وتجهزوا للسؤال عنها يوم القيامة .

وهذا كتاب ربكم يشتكيكم أن أعداء الله يهينونه ويقف قبالتهم علماء السوء صامتين ! قد ديست آيات الله واستهزئ بها، من قبل عصابة مجرمة طاغية ، فاستعدوا للجواب يوم الحساب .

وإنني لأخشى على نفسي وعليكم هول الإجابة عن هذا ! لأني والله بحثت في هذه الدنيا عن جواب فلم أجد أبدا إلا الجهاد مالاً وعملاً ونفساً جهاد هؤلاء المجرمين أعداء الدين .

ولو ملكت روحًا أستطيع فيها أن أصل فيها إليكم لوصلت إلى كل واحد منكم ، وأخبرته عن حال إخوانه وأخواته في ظلام المجرمين الغاصبين هؤلاء

إخواني أوصيكم ونفسي بتقوى الله والاستغفار وسؤال الله الثبات على درب الجهاد وهو مع ما فيه من مشقة أحب الينا من دنيا جعلت أمامنا كبيت مزهر مع أن الحقيقة مختلفة ففيها يسرح أعداء الله ويستبيحون أرضنا وعرضنا، وزين لهم الحكام والدول إجرامهم هذا فلا خير فينا إن لم ننفر نصرةً لإخواننا، الذين نصرونا من قبل بأنفسهم بمشاق عذابهم واعتقالهم لنحيا بعزة وكرامة.

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا اللهم خذ من دمائنا حتى ترضى
ولعل الله أن ييسر لي قريبا ذكر قصة في أرض الجهاد مليئة بالعبر والعظات والفوائد
والحمد لله رب العالمين

الخاتمة

وبعـد؛ فقـد كان هـذا مـا أمـلاه علـيّ الأخ الـذي أنجـاه الله مـن سـجون الكافريـن، وكان إمـلاؤه في عـدد مـن المجالـس، وقـد قمـت بإعـادة صياغـة مـا أمـلاه وترتيبـه، وأعتـذر هنـا إلـى القـراء، فلسـت راضيـا عـن صياغتـي لهـذا، ولكـن ليـس لـدي خيـار آخـر، فغايتـي في الواقـع الـذي نعيشـه الجمـع والتوثيـق والنشـر، حتـى لا تضيـع الحقائـق مـع تقـادم الأزمـان، ويجـب ألا يغيـب عـن أذهاننـا أن مـا ذكـر في هـذا الجـزء ليـس إلا غيضا مـن فيـض وقطـرة مـن بحـر مما يجـري في سـجون النصيريـة، فواجـب على المسـلمين أن يسـعوا في خـلاص الأسـارى بـكل مـا يقـدرون عليـه، وأن يبذلـوا قصـارى جهدهـم مـن أجـل تحريرهـم وتخليصهـم مما هـم فيـه مـن العـذاب العظيـم، واللهَ نسـأل أن يفـرج عـن معتقلينـا، وأن يدمـر النصيريـة والرافضـة والملاحـدة والصليبييـن، وأن يعجـل بالنصـر والفـرج بمنـه وكرمـه.

والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

المقدمة 1
شهادة سعد الدين الحموي مع نبذة عنه 4
الاعتقال 4
النقل إلى المفرزة الأمنية 6
الانتقال إلى فرع الأمن العسكري في حماة 8
الخروج إلى التحقيق 10
الفخ الذي نصبه النظام 13
اللقاء بأفراد دعوتي 14
الانتقال إلى البولوني 15
الانتقال إلى فرع فلسطين 17
التحقيق في فرع فلسطين 20
الانتقال إلى فرع الإيداع 24
أهوال وفظائع 25
بداية الفرج 27
ترحيلات الخروج 28
الخلاص من الألم 31
ذكريات وآلام 32
القدوم إلى أرض الجهاد 37
سوانح وخواطر 38
رسالة أخيرة 39
الخاتمة 41